

الفصل السابع

من قضايا الشرق العربي ومراحل كفاحه حتى الاستقلال

- العراق في التاريخ الحديث والمعاصر .

- سورية من الاحتلال إلى مابعد مرحلة الاستقلال .

- لبنان في التاريخ الحديث والمعاصر

- المملكة الاردنية الهاشمية .

- الكويت .

- القضية الفلسطينية وواقعها المعاصر .

obeikan.com

وترجع أهمية العراق بالنسبة لبريطانيا إلى موقعه الاستراتيجي كقاعدة للطريق البري إلى الهند ، وإلى امكانية استخدام ارضه كقاعدة جوية للطيران التجاري والحربي هذا إلى جانب أهميته الاقتصادية خاصة البترول . واستندوا في ذلك إلى أن عصابة الأمم قد عهدت اليهم بالانتداب على العراق فحاولوا التدخل في كل أمر من أموره ولكن نتيجة لتصميم العراقيين على الاستقلال ، ورغبة بريطانيا في معالجة المسألة العراقية بالحذر التام ابدى الانجليز استعدادهم للمساومة ، فوقعوا معاهدة مباشرة مع العراق في العاشر من اكتوبر ١٩٢٢ اعترفوا فيها باستقلال منقوص للعراقيين خاصة وان بريطانيا فرضت بعض الشروط منها:

١- حق تعيين مستشارين للحكومة العراقية .

٢- مساعدة الجيش العراقي والاشراف على شئونه

٣- حماية الاجانب .

٤- تقديم المشورة للعراق في المسائل المالية

٥- تقديم المشورة للعراق حول المسائل السياسية الخارجية

والموقع ان هذه المعاهدة لم تكن لتختلف كثيرا عن وثيقة الانتداب مما جعلها تلقى معارضة شديدة من الوطنيين الذين رأوا في نصوصها غنبا لبلادهم ، وفيما بين عامي ١٩٢٤ - ١٩٣٠ ازدادت مطالب العراقيين لمزيد من الاستقلال فعقدت معاهدة في يناير ١٩٢٦ وأخرى في ديسمبر ١٩٢٧ وكلاهما خففت بعض الشئ من وطأة السيطرة البريطانية ، وأشدت الأخذ والرد بين العراقيين والانجليز وكاد الموقف يتدهور مما جعل الانجليز يوافقون على تعديل المعاهدة في عام ١٩٣٠ والتي نصت على اقامة تحالف مدته ٢٥ عاما بين بريطانيا والعراق ، وأكدت عزم بريطانيا على مساعدة العراق في الدخول في عصبه الأمم عام ١٩٣٢ ، وأعلنت استقلال العراق الكامل وانهاء الانتداب وقت دخول العراق عصبه الأمم كذلك نصت المعاهدة على مساعدة بريطانيا في الدفاع عن العراق في حالة الحرب على أن يقدم العراق كل التسهيلات لبريطانيا خلال الحرب ، كما نصت المعاهدة على أن تؤجر العراق للانجليز بعض القواعد الجوية .

والجدير بالذكر أن هذه المعاهدة مثلت نموذجا للمعاهدات التي عقدتها إنجلترا وفرنسا مع الدول العربية بعد ذلك ومن أمثلة ذلك معاهدة ١٩٣٦ مع فرنسا ، والمعاهدة التي عقدتها فرنسا مع سورية ولبنان في نفس العام . وكنتيجة لهذه المعاهدة دخل العراق عصبه الأمم كدولة مستقلة ذات سيادة .

وبعد وفاه الملك فيصل في عام ١٩٣٣ خلفه ابنه غازي الذي كان يبلغ من العمر ٢١ عاما وكانت تنقصه الخبرة ولا يقدر المسؤولية وشغف بهوية سباق السيارات اكثر من انشغاله بالأمور العامة في بلاده وقد عرف الملك غازي بعدائه للانجليز . وفي ابريل ١٩٣٩ توفى الملك غازي في حادث سيارة قرب بغداد ، واتهم الانجليز بمقتله .

وقد خلف غازي ابنه الصغير فيصل الثاني وبسبب صغر سنه تم انشاء نظام الوصاية برئاسه خاله عبد الاله الذي كان من أعوان الانجليز ، واستمر الأمر على ذلك حتى عام ١٩٥٣ حيث بلغ فيصل سن الرشد فاستلم مهام الملك . وخلال الفترة التي اعقبت معاهدة ١٩٣٠ ظل رجال العراق يسعون لإزالة القيود والشروط التي تضمنتها هذه المعاهدة ، وفي تلك الفترة ازداد الدور الذي يلعبه الجيش العراقي في السياسة وظهر ذلك في أكتوبر عام ١٩٣٦ م . عندما قام

الجيش بقيادة " بكر صدقي " بانقلاب وأرغم وزارة الجنرال " ياسين الهاشمي " على الاستقالة وقيام الحرب العالمية الثانية وجنوح الانجليز إلى تشديد قبضتهم على العراق قامت ثورة ١٩٤٠ بزعامة رشيد عالي الكيلاني وأطاحت بحكومة الوصي وأقامت حكومة " الدفاع الوطني " من ضباط حربيين ثم خلع الوصي واستبدل به أحد نقباء الأشراف ، ولكن الإنجليز استطاعوا السيطرة على الموقف خشية التدخل الألماني وهزموا الكيلاني واضطروه إلى الفرار ، وفى يونيه ١٩٤١ م . أرسلت الحكومة البريطانية رسالة توضح فيها احترامها لاستقلال العراق . ومع ذلك فإن العراق لم تعتبر نفسها في حالة حرب مع ألمانيا وإيطاليا واليابان إلا في عام ١٩٤٣ م ، ولما انتهت الحرب طالبت الصحف العراقية بتخفيف القيود المفروضة على العراق والرجوع إلى نظام الحكومة الحزبية وفى يناير ١٩٤٨م وقعت معاهدة إنجليزية عراقية تركت لبريطانيا تسهيلات عسكرية مما أثار الشعب العراقى وفى سنة ١٩٥٥م عقد بين العراق وإنجلترا اتفاقية أنهيت بها أحكام المعاهدة وتعهدت إنجلترا بالجلء عن العراق وتسليم المطارات الإنجليزية للحكومة العراقية مقابل موافقة العراق على الاشتراك في حلف مع تركيا وبعض دول الشرق الأوسط وعلى قبول المساعدات البريطانية والدفاع عن العراق في حالة تعرضه لأى هجوم على أن يستمر الاتفاق لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد . ولقد أثار هذا الاتفاق ضجة في العالم العربى الذى كان يأمل في أن يخرج العراق من الدائرة الإنجليزية ، كما أخذ الصراع يشتد بين الجماعات الوطنية في العراق وحكامه الذين جعلوا من العراق حصنا للاستعمار وقد بلغ ذلك ذروته في ١٤ يوليو ١٩٥٨ وانفجر في شكل حركة عسكرية أطاحت بالحكم الملكى واعلنت النظام الجمهورى ، واخرجت العراق من حلف بغداد ^(١) وبدأ العراق يخطط له طريقا آخر غير الطريق الذى رسمته له القوى الاستعمارية من قبل

ولكن الرياح غالباً لا تأتى بما تشتهي السفن فبعد تولى عبد الكريم قاسم رئاسة الحكومة وقيادة الجيش عمل على الانفراد بالسلطة فازاح زميله عبد الرحمن عارف لانه كان يمثل نقطة قيادية في العراق وبدأت امارات الانحراف تظهر في سياسته خاصة بعد بطشه بالوطنيين ، ونجاح الشيوعيين في السيطرة عليه عن طريق الادعاء بأنهم يريدون أن يكون الزعيم الاوحد في العراق ^(٢) يضاف إلى ذلك أنه قام بشن عملية إبادة حقيقية ضد معارضيه أسفرت عن سقوط آلاف الضحايا كما تميزت سياسته الخارجية بالعديد من الاتزمات مع الدول العربية ، وانتهى أمره بانقلاب عسكرى أطاح به في الثامن من فبراير ١٩٦٣ . وتسلم الحكم من بعده عبد السلام محمد عارف الذى استمر في الرئاسة حتى سقطت به الطائرة في البصرة عام ١٩٦٦ . وقد تسلم رئاسة الجمهورية بعد الرئيس عارف أخوه عبد الرحمن عارف الذى استمر في الحكم حتى استطاع حزب البعث العربى الاشتراكى أن يقوم بانقلاب عسكرى عليه فى ١٧ من يوليو ١٩٦٨ ويتسلم السلطة .

وبعد أن تسلم حزب البعث ادارة دفة أمور العراق ، تولى الفريق احمد حسن البكر رئاسة الجمهورية ، وفى عام ١٩٧٩ تنازل عنها للرئيس صدام حسين .

(١) درورة : مرجع سابق ص٦٦

(٢) أحمد فورى : ثورة ١٤ رمضان ، القاهرة ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ ص٢٧ - ٢٨ .

وبعد قيام الثورة في ايران ، بدأت النوايا الاستفزازية ضد العراق تتضح في تصريحات القادة الايرانيين ، فتعرضت المصالح العراقية في ايران لأعمال عنف واعتداء ، كما اخذت ايران في انتهاك روابط حسن الجوار مع العراق فبدأت تتدخل في شئونه عن طريق تشكيل امتدادات تنظيمية لما يسمى بحزب الدعوة الذى يقوم بمساندة الحركات المناهضة ضد العراق ، والى جانب ذلك تعرضت حدود العراق الشرقية ومجاله الجوى إلى العديد من التجاوزات التى شملت قيام الطيران العسكرى الايرانى باختراق حرمة الاجواء العراقية وقصف المخافر ، والأراضى والقرى الحدودية ، ومهاجمة دوريات الشرطة ، وحرس الحدود داخل الأراضى العراقية ، وكذلك انتهاك حرمة المياه الاقليمية العراقية والاعتداء عليها .

ونتيجة لذلك اندلعت نيران الحرب بين العراق وايران ثم دخلت هذه الحرب مرحلة خطيرة من التصعيد الشامل لحرب الناقلات وضرب الاهداف الاقتصادية والصناعية للعراق فقد واصلت ايران ضرب الناقلات في المياه الدولية بالخليج ، وقصف المدن والمراكز السكانية العراقية خاصة مدينة البصرة .

وفى نفس الوقت قامت الطائرات العراقية بغاراتها على العمق الايرانى والأهداف البحرية الايرانية ، واستمرت الحرب بين الدولتين المسلمتين تحصد الأرواح وتآكل الثمار وخطط التنمية والثروات ، وكادت تتسع دائرتها لتشمل دولا أخرى فى المنطقة

ونظراً لخطورة الحرب على الأمن والسلام الدوليين ، والخسائر المادية والبشرية التى تعرض لها البلدان فى أطول حرب وقعت . وأكثرها شراسة وقداحة وبشاعة من حيث خسائرها البشرية والمادية بدأ المجتمع الدولى يحاول وضع حد فورى للنزاع فأصدر مجلس الأمن الدولى قراره رقم (٥٩٨) والذى يقضى بوقف اطلاق النار بين البلدين المتحاربين وانسحاب كافة القوات الى الحدود المعترف بها دولياً . وارسال فريق من مراقبي الأمم المتحدة لتنفيذ وقف اطلاق النار ، وتأكيده والاشراف عليه ، وأن يتم اطلاق سراح اسرى الحرب ، واعادتهم الى بلادهم وفقاً لاتفاقية جنيف الثالثة لسنة ١٩٤٩م

وبعد صدور القرار بات من الواضح ان هناك ارادة دولية تحبذ وقف اطلاق النار بين البلدين المتحاربين وقد تمسك العراق بتنفيذ القرار ، ورحب بتنفيذه في حين طالبت طهران بتحميل العراق مسؤلية تفجير النزاع ، وأصررت على تحديد الطرف البادئ بالحرب ، وفرض العقوبات الصارمة عليه قبل وقف اطلاق النار ، واستمرت الحرب بين البلدين ولكن اصرار المجتمع الدولى على ايقاف الحرب ونتيجة للمقاطعة التجارية والعسكرية التى فرضتها الولايات المتحدة والدول الأوروبية على ايران أجبرت ايران فى نهاية الأمر على وقف اطلاق النار ، والدخول فى المفاوضات تحت اشراف الأمم المتحدة بجنيف .

وقد استحوذت مسألة السلام بين العراق وايران ، وسبل الانتقال من حالة وقف اطلاق النار الى حالة السلام اهتمام المسؤولين فى العديد من الدول وعلى كل حال فإن هذه الحرب قد أدت الى تمزيق الصف الاسلامى فى وقت كان فى أشد الحاجة فيه الى الوحدة والترابط مما أتاح للقوى الخارجية العمل على استغلال هذا الصراع للاخلال بموازين العلاقات فى العالم الاسلامى ، ومما جعل اسرائيل تنتهز فرصة اشتعال هذه الحرب ، وتقوم بضرب المفاعل النووى العراقى على أطراف بغداد فى يونيو من عام ١٩٨١ هذا الى جانب قيامها بتزويد ايران بالأسلحة والمعدات الحربية لضرب العراق . وفى الوقت الذى كان ينتظر فيه العالم العربى الدعم والمساندة من العراق ، قام الرئيس العراقى بغزو الكويت فى الثمانى من أغسطس

١٩٩٠ مما أدى الى تفتيت شمل العالم العربي ، واهتزازه أمنيا واقتصاديا واجتماعيا ، وانتهى الأمر باصدار مجلس الأمن لقراراته بشأن انسحاب العراق من الكويت ، ورفض العراق لهذه القرارات وقيام الحرب بين قوات التحالف وقوات صدام حسين التي انتهت بهزيمة الجيش العراقي واعادة السيادة الى الكويت ، وتأخير المنطقة العربية تنمويا وعمرانيا مراحل زمنية ترمم خلالها بنيتها وتستعيد توازنها واستقرارها .

٢- سورية من الاحتلال الى ما بعد الاستقلال

اتفق الحلفاء قبيل الحرب العالمية الأولى وخلالها على فرض سيطرتهم على أملاك الدولة العثمانية ومنذ أن قامت حكومة الأمير فيصل في دمشق عام ١٩١٨ والسوريون يناضلون من أجل توحيد سورية الكبرى (لبنان وشرق الاردن وفلسطين) وقد بعث فيصل بشكري الأيوبي حاكما على لبنان والسواحل السورية قبل مجيء القوات الفرنسية فرفع الأعلام العربية على مقر الحكومة هناك ، ثم أخذ يوطد السيادة العربية عليها ولكن بمجىء القوات الفرنسية بقيادة الجنرال " غورو " تغيرت الأمور فأرغم الأيوبي على طي اعلامه والعودة إلى دمشق ، حيث تمكن الفرنسيون من احتلال هذا القسم من بلاد الشام ومن ثم نشب صراع بين رجال الحركة الوطنية العربية وفرنسا التي كانت ترى أن جميع بلاد الشام في نطاق نفوذها الاستعماري طبقا لاتفاقية سايكس بيكو كان في نتائجها تمرد سوريا على الاستعمار الفرنسي واعلان استقلال سوريا التام بحدودها الطبيعية في عام ١٩٢٠ تحت رئاسة الأمير فيصل وتقاربت الاحزاب السورية بعضها من بعض ، وألفت اللجنة الوطنية العليا وعن تفاصيل تنصيب الأمير فيصل ملكا تذكر جريدة الأهرام أنه أثناء حفل المبايعة قدم بطريك الروم الأرثوذكس باسمه وباسم الرؤساء الدينيين صكاً للأمير نصه باسم الله لما كان قد وقع اختيار الأمة السورية على تملكه سمو الأمير فيصل ابن جلالة الملك حسين على سوريا بحدودها الطبيعية حضرنا اليوم في دائرة بكوية دمشق العاصمة لتأدية فروض المبايعة فبالأصالة والنية تقرر مراعاة الشرائط السبعة التي ارتبطنا بها مع سمو الأمير وهي : إطاعة الله - احترام الأديان - الحكم شورى على مقتضى القوانين والنظامات التي تسن لذلك . المساواة في الحقوق - توطيد الأمن - تعميم المعارف - إسناد الوظائف إلى الأكفاء^(١) وعلى الرغم من ذلك فقد وجه القائد الفرنسي غورو إنذارا إلى الملك فيصل كان أهم شروطه :-

أ- قبول الانتداب الفرنسي .

ب - الغاء التجنيد الاجباري وتسريح الجندين .

ج - معاقبة اعداء فرنسا^(١)

ولما أثار خبير هذا الانذار الكثير من التساؤلات والمخاوف في جميع المحافل الرسمية والشعبية السورية أرسل الجنرال غورو منشورا إلى أهالي سورية يذكرهم فيه ان فرنسا لم ترغب في استعمار سورية بل قبلت الانتداب الذي عهد به "يا مؤتمر الصلح ، وانها ستحترم الحريات على اختلاف أنواعها ومع ذلك فقد رأت الحكومة السورية ضرورة الاستنجاذ بضمير العالم المتمدن ، وطلبت احالة القضية إلى

^(١) الأهرام عدد ١٣٠٧٧ في ١٧ مارس ١٩٢٠ .

^(١) ابو خلدون ساطع الحصري : يوم ميلون ، صفحة من تاريخ العرب الحديث ، بيروت ، مكتبة الكشاف ١٩٤٥ ص ١٠٤ .

التحكيم وبعد أن انتهت المدة المحددة للانداز زحف القائد الفرنسي غورو على دمشق ، فواجهه السوريون في جهة "ميسلون" ودارت بين الفريقين معركة غير متكافئة استشهد فيها كثيرون من أحرار السوريين ومنهم "يوسف العظمة" وزير الحربية حيث وقف في الصف الأول من المحاربين يقاتل بمسدسه حتى قتل وانتهى الأمر بدخول الفرنسيين دمشق ، واسقاط الحكومة القائمة هناك ثم احتلال حلب وحمص وحماء والاستيلاء على سورية كلها بقوة السلاح ، واتبع الفرنسيون مع السوريين سياسة الارهاب من ناحية والخداع من ناحية أخرى ، فالغت فرنسا الحكم الوطني وقامت بتجزئة سورية الى خمس دول هي : دولة دمشق ، ودولة لبنان ، ودولة حلب (وتشمل الاسكندرونة) ودولة العلويين ، ودولة جبل الدروز .

ومع ان فرنسا قد توهمت بأن ضربة "ميسلون" قد قضت على المقاومة العربية قضاء مبرما ، ولم يخطر ببالها أن هذه المقاومة ستزداد بعد ميسلون إلى أن تجبر فرنسا على الرحيل من سورية فقد قام الشعب السوري بثورته الكبرى في عام ١٩٢٥ تحت شعار وحدة سورية تحت السيادة العربية الخالصة

ولما وجدت فرنسا ان سياسة البطش والارهاب لم تؤد غرضها ، وأن سياستها الاستعمارية التي لا تؤمن بفكرة اشتراك الشعوب الصغيرة في حكم نفسها لم تحقق جدواها أصدرت دساتير لأقاليم سورية ، وأقامت الجمهورية السورية الأولى برئاسة " محمد علي العابد " في عام ١٩٣٣ وأملت عليها معاهدة قيدت فيها سورية بقيود التبعية لها ^(١) ولكن الشعب السوري ثابر في نضاله إلى أن تفجرت ثورة دمشق في عام ١٩٣٥ مما دفع فرنسا إلى مفاوضة قادة هذه الحركة ، وأسفر ذلك عن معاهدة اعترفت فيها فرنسا باستقلال سورية وسيادتها ووحدها مع بعض التحفظات ^(٢) . واجريت الانتخابات ، وانتخب المجلس النيابي الجديد في اوائل عام ١٩٣٦ هاشم الاتاسي رئيس الكتلة الوطنية رئيسا للجمهورية وتألقت حكومة من زعماء الكتلة ، غير أن الفرنسيين أخذوا يعرقلون نشاط هذه الحكومة . والجدير بالذكر أن فرنسا اتبعت طوال مدة اقامتها في بلاد الشام سياسة التفرقة والتقسيم لكي تسود سياستها فقسمت البلاد أقساما مصنعة وعملت جهدها على تنمية الشعور المحلي وايدت الانقسامات الدينية والطائفية والمذهبية فقسمت البلاد إلى أربعة أقسام هي لبنان الكبير ودمشق وحلب وارض العلويين ثم ضمت حلب إلى دمشق وكونت منهما سوريا والى جانب ذلك فقد اكدت فرنسا لتركيا تعاطفها في ضم الاسكندرونة اليها ، وانها ستمنح لواء الاسكندرونة الحكم الذاتي

وقد قوبلت هذه التصرفات باستياء شديد من الرأي العام السوري والحكومة السورية ومع ذلك عقدت فرنسا اتفاقية مع تركيا في الخامس من يوليو ١٩٣٨ نصت على وجود قوات تركية وفرنسية في لواء الاسكندرونة وفي اعقاب ذلك أجرى الفرنسيون والاتراك الانتخابات للمجلس التمثيلي في اللواء ، واستطاعت العناصر التركية ان تسيطر على برلمان الاسكندرونة وانتهى الأمر بتنازل فرنسا عن لواء الاسكندرونة لتركيا .

وكانت فرصة السوريين قيام الحرب الثانية وانهيار قوة فرنسا أمام قوة الألمان وتبع انهيار فرنسا الحربى والسياسى تضعضع نفوذها في حوض البحر المتوسط وقامت حكومة فيشى وتبعته سوريا ولبنان هذه الحكومة في بادئ الأمر ففتحت أبواب سوريا ولبنان أمام دول المحور من الإيطاليين والألمان بل

(١) ابو خلدون ساطع الحصرى : المرجع السابق ص ١٠٥ .

(٢) درورة : مرجع سابق ص ٦٦٨ .

وللطائرات والدعاية الألمانية وتم التفريغ بعض الشئ عن سوريا ولكن القوات الإنجليزية بقيادة الجنرال " هنرى ويلسون " وقوات فرنسا الحرة بقيادة " كاترو " قد تمكنت من طرد نفوذ المحور من سوريا ولبنان وأعلن كاترو ممثل فرنسا الحرة أن بلاده تنوى إنهاء الانتداب واستقلال سوريا ولبنان (١) وطالب السوريون بالاستقلال وحاولت فرنسا حمل رجال الحركة الوطنية على عقد معاهدة يكون لفرنسا بمقتضاها مركز ممتاز في هذه البلاد ولكنهم رفضوا أن يقيدوا بلادهم بقيود جديدة ، فأقام الفرنسيون جمهورية بقرار منهم برئاسة الشيخ " تاج الدين الحسيني " الذي أبدى استعداده للتعاون معهم فحولوا حكومته سلطات واسعة لمقاومة الوطنيين ومناوأتهم ومع ذلك فقد وقف رجال الحركة الوطنية يناوون فرنسا ويطالبون إنجلترا بالتدخل ، وبوفاة الشيخ تاج أجريت انتخابات حرة فاز فيها الوطنيون وانتخب شكرى القوتلى رئيساً للجمهورية ، وقد حاول الفرنسيون عقد معاهدة مع الحكومة السورية تضمن بها مركزاً عسكرياً واقتصادياً وثقافياً ممتازاً ولكنها رفضت مما ضايق فرنسا فأقدمت على قصف دمشق بالمدافع وإعمال يد الهدم والتدمير فيها ولكن بريطانيا أجبرت فرنسا على التوقف ثم تقدمت سورية بشكوى ضد فرنسا إلى مجلس الأمن مطالبة بجلاء الجيوش الأجنبية عن بلادها استناداً إلى ميثاق هيئة الأمم المتحدة وانتهى الأمر بجلاء القوات الأجنبية عن سورية فى عام ١٩٤٦م بعد أن أعلن مجلس الأمن فى ٤ مارس ١٩٤٦ . أن الوفدين العسكريين البريطانيين البريطانيين والفرنسي المجتمعين في باريس قد وافقا على خطة تقضى بسحب القوات البريطانية والفرنسية من سوريا في وقت واحد على أن يبدأ الجلاء في ١١ مارس وينتهي في ٣٠ أبريل (٢) "

وفى عام ١٩٤٧ جدد المجلس النيابى في سوريا مدة رئاسة " شكرى القوتلى " ولكن " حسنى الزعيم " رئيس أركان حرب الجيش السورى قام بحركة انقلابية في عام ١٩٤٩م . أطاح فيها بشكرى القوتلى وفرض نفسه رئيساً للجمهورية وبعد ثلاثة أشهر من هذا الانقلاب قام " سامى الحناوى " أحد كبار الضباط بالجيش السورى بانقلاب ثان واعتقل حسنى الزعيم وأعدمه وقامت أثر ذلك حكومة جديدة برئاسة " هاشم الأتاسى " التى استجابت لحركة ترمى إلى الاتحاد بين سوريا والعراق فحركت الأصابع أديب الشيشكلي أحد ضباط الجيش السورى فقام بانقلاب ثالث فى آخر السنة واعتقل سامى الحناوى وأجبط الحركة وفى تلك الأثناء جرى انتخاب مجلس تأسيسى وضع دستوراً جديداً ثم انقلب إلى مجلس نيابى وانتخب هاشم الأتاسى لرئاسة الجمهورية فى أوائل عام ١٩٥٠ . وحاول أديب الشيشكلي أن يظل الموجه الأول للحكومة ، فاختلف مع أعضائها وأقدم على اعتقال أعضاء الوزارة وبعض أعضاء المجلس النيابى فى عام ١٩٥١ . مما اضطر هاشم الأتاسى إلى ترك منصبه وحينئذ قامت حكومة عسكرية برئاسة " فوزى سلو " ثم خطا الشيشكلي خطوة أخرى فى عام ١٩٥٣م . حيث وضع دستوراً جديداً وعرضه على الشعب للاستفتاء كما طلب من الشعب انتخاب رئيس للجمهورية ، ولم يترشح غيره حيث أهرب الناس بسيطرته العسكرية وإجراءاته البوليسية وهكذا فرض نفسه رئيساً للجمهورية ثم أجرى انتخابات نيابية فاز فيها أنصاره بالأغلبية (٣)

وفى عام ١٩٥٤م . قام ضباط الجيش السورى الذين استاءوا من سيطرة الشيشكلي بحركة مناوئة له اشترك فيها السياسيون والمدنيون مما اضطر الشيشكلي إلى الاستقالة ومغادرة سوريا فعاد الحكم النيابى

(١) دروزة : السابق ص ٦٦٩ .

(٢) سيتون وليرم : المرحع السابق ص ١٢٣

(٣) دروزة ص ٦٧١ - ٦٧٢

فى نطاق الدستور وعاد هاشم الأتاسى لرئاسة الجمهورية ولما انتهت مدته أجريت انتخابات نيابية جديدة انتخب على أثرها شكرى القوتلى لرئاسة الجمهورية فى عام ١٩٥٥ . ولما حاولت أمريكا وبريطانيا التأثير على سوريا لدخول حلف بغداد وفتت سوريا بقيادة شكرى القوتلى ضد هذا المخطط ووقفت مصر بجانبها ، وفى اعقاب ذلك جرى العديد من الاتصالات والمباحثات مع مصر وانتهت بتوقيع اتفاقية الوحدة فى أول فبراير ١٩٥٨ وأعلن عن قيام الجمهورية العربية المتحدة برئاسة جمال عبد الناصر ، وسميت سورية بالأقليم الشمالى ، ومصر بالأقليم الجنوبى ، ولكن هذه الوحدة لم تستمر طويلا ، وقد استطاعت المؤامرات الاستعمارية الاطاحة بهذه الوحدة على أثر انقلاب عسكري فى ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ وأعلن عن انفصال سورية عن مصر ، وقامت حكومة دستورية برئاسة الدكتور معروف الدواليبى ، كما انتخب الدكتور ناظم القدسى رئيسا للجمهورية ، وفى مارس ١٩٦٢ اطاح انقلاب عسكري بالحكومة ، وتولى الجيش مقاليد السلطة ، واستمرت الحركات الانقلابية فى سورية حتى قيام حزب البعث باستلام السلطة .

وفى يونيو ١٩٦٧ واجهت القيادة السورية الهزيمة فى معركتها مع اسرائيل ، وضاعت الجولان .

وفى ١٣ يونيو ١٩٧٠ قامت حركة فى سورية بقيادة الفريق حافظ الأسد وزير الدفاع وقائد السلاح الجوى ، ونجح فى الاستيلاء على السلطة ، واختير فى ٢٢ فبراير ١٩٧١ رئيسا للجمهورية . ومن أبرز مظاهر السياسة السورية فى عهده توثيق العلاقات مع بعض الدول العربية ، كما اتضمت سورية الى ميثاق طرابلس الذى يضم اتحادا رباعيا من سورية ومصر وليبيا والسودان .

وقد شاركت سورية فى حرب رمضان ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م هذا الى جانب مواقفها من القضية

اللبنانية ، وصمودها أمام الأطماع الصهيونية

٣- لبنان فى التاريخ الحديث والمعاصر :

بعد أن ارسل الأمير فيصل بن الحسين شكرى الايوبى لاعلان توطيد السيادة العربية على لبنان سارعت فرنسا بإرسال قواتها ، واحتلت لبنان وبعض المناطق المتاخمة له تنفيذا لاتفاقات سايكس بيكو ، وبذلك بسطت فرنسا سيادتها على هذه المنطقة بدلا من السيادة العثمانية .

لقد كانت فرنسا ترنو ببصرها منذ فترة طويلة نحو نصارى بيروت ولبنان وخاصة الموارد منهم وتوجه اهتماماتها نحوهم ، وتعدت معهم أواصر الصداقة وتنشئ لهم المدارس والمعاهد لتعلمهم فيها تاريخها ولتغتها فى محاولة منها لابعادهم عن العروبة والاسلام فنشأت مع الزمن روابط وعواطف متبادلة بينهما واعتبر المورد والكتائوليك اللبنانيون أن فرنسا هى الأم الحنون لهم ورغبوا أن يكونوا ضمن حمايتها الفعلية ، كما أن فرنسا رأت فيهم الأبناء الأبرار وعتهم ساستها وكتايبها بفرنسى الشرق ، وقد أكد هذه الروابط الحوادث الدموية الطائفية التى بلغت ذروتها عام ١٨٦٠ حيث تدخلت فرنسا وأرسلت حملة عسكرية إلى البلاد باسم حماية أرواح انصارى .

وقد حكمت فرنسا لبنان والسواحل حكماً عسكرياً فى السننتين الأولتين من قدمها وعمدت إلى إثارة النزعات الطائفية الدينية فى سكان لبنان والسواحل وأوجدت تياراً من التنافس والتناظر بينهما وبعد انهيار الحكم الفيصلى ووقوع سورية بين مخالب الاستعمار الفرنسى وسع الفرنسيون حدود لبنان فصار

يسمى لبنان الكبير ثم عينوا أحد زعماء الموارنة وهو " حبيب السعد " حاكماً عاماً فأصبحت رئاسة أحد الموارنة للبنان تقليداً مستمراً كما أعطوا المناصب الحكومية لأنصارهم .

لقد كان " حبيب السعد " أول حاكم عام تحت السيطرة الفرنسية للبنان ، وممن قاموا على رأس الجمهوريات اللبنانية بين السنوات من ١٩٣٠ إلى ١٩٤٣ " شارل دباس " و"أميل اده " و"الفرد نقاش " وفى عام ١٩٤٣ سمحت فرنسا بإجراء انتخابات نيابية حرة في سورية تنفيذاً للوعد الذى قطعتة مع بريطانيا أثناء زحف قواتهم على سوريا ولبنان بالاعتراف باستقلال الأقليمين ، وقد فاز في هذه الانتخابات بعض النواب المسلمين والنصارى الذين كانوا ناقمين على فرنسا وفى مقدمة هؤلاء رياض الصلح والشيخ بشارة الخورى وقد انتخب المجلس النيابى الشيخ بشارة الخورى رئيساً للجمهورية واختار هذا رياضاً لرئاسة الوزارة فقام بذلك عهد جديد كان فاتحة خير للحركة العربية فى لبنان .

وقد كان من أهم أعمال هذه الحكومة الجديدة إزالة ما يتناقض مع استقلال لبنان وسيادته وتعديل الدستور وتوطيد بنىان الأمة والقضاء على فكرة الطائفية البغيضة كما قررت أن لبنان عربى يمت إلى العروبة بأوثق المظاهر والصفات وأوجب استعمال اللغة العربية وحدها في مصالح الحكومة مما أذهل الفرنسيين فأذاع مندوبيهم تحذيراً بعدم تعديل الدستور ولكن الوزارة لم تعبأ بذلك وقدمت التعديل إلى المجلس فأقره بما يشبه الإجماع فما كان من المندوب الفرنسى إلا أن أرسل قوات عسكرية ليلاً إلى منازل رئيس الوزراء وعدد من النواب والنواب واعتقلهم وأصدر أمراً بإقالتهم وبحل مجلس النواب وتعيين أميل اده رئيساً للدولة ^(١) ولم يكد يعرف أهالى لبنان بما حدث حتى انفجر الهياج فقامت المظاهرات وأعلن الإضراب في بيروت وسائر لبنان ووقعت الاشتباكات بين الأهالى والقوات الفرنسية واجتمع فريق من النواب مع الوزراء الذين لم يعتقلوا وقرروا تأليف حكومة طوارئ وطنية كما أعلن رجال الدين من المسلمين والنصارى تضامنهم لموقف الشعب وهكذا ظهر لبنان بوجهه العربى الصحيح مما كان لذلك أثره في البلاد العربية فأعلن الإضراب فيها احتجاجاً على فرنسا وتضامناً مع شعب لبنان كما استنكر الإنجليز موقف فرنسا فاحتجت الحكومة الإنجليزية عليه مما دفع فرنسا إلى إطلاق سراح المعتقلين وعودة رئيس الجمهورية والمجلس النيابى ، وهكذا خرج لبنان من محتته منتصراً تتهياً له أسباب توطيد الاستقلال والسيادة حيث اعترفت به الدول كما غدا عضواً في الجامعة العربية وعضواً في هيئة الأمم وانتهى الأمر باستقلاله عام ١٩٤٦ م .

وفى عام ١٩٥١ م . انتهت مدة رئيس الجمهورية الشيخ بشارة الخورى فجددها المجلس النيابى ولكن ذلك لم يرض المستعمرين فحركوا صناعاتهم ضده حتى اضطره إلى الانسحاب في سنة ١٩٥٢م فانتخب المجلس كميل شمعون مكان بشارة الخورى وقد سار على خطة معاكسة واندمج في ركب المستعمرين وقبل مبدأ ايزنهاور وأصبح لبنان وكرماً للمؤامرات والدعاية المسمومة ضد مصر وسورية ولما اقتربت نهاية مدته أراد أن يجددها واستعمل في سبيل ذلك مختلف الوسائل الأخرائية والإرهابية ، فثارت العناصر القومية ضده ووقفت تناونه وفى عام ١٩٥٨م حدثت ثورة دموية عمت أنحاء لبنان وامتدت نحو أربعة أشهر بهدف الإطاحة بشمعون وانتهاء سياسة التحالف مع المعسكر الاستعمارى .

(١) دروزة : المرجع السابق ص ٦٧٩ .

ولكن شمعون حاول قلب هذه الثورة إلى فتنة طائفية بين المسلمين والنصارى بدعوى أنه حامى النصارى والموارنة وكيان لبنان من المسلمين والعروبة ولكن بفضل تضامن عدد من زعماء النصارى مع المسلمين أخفق شمعون في محاولته .

ونتيجة لقيام الثورة في العراق عام ١٩٥٨م وخشية من انتقال عدواها إلى لبنان طلب كميل شمعون معونة امريكا العسكرية استنادا إلى نصوص مبدأ ايزنهاور الذى حول الكونجرس بمقتضاه لرئيس الجمهورية حق ارسال القوات المسلحة الامريكية للدفاع عن أى من الحكومات الصديقة في الشرق الاوسط التى تواجه تهديدا مسلحا من قبل أى دولة اخرى تدور في فلك الشيوعية العالمية^(١) كما طالب مجلس الأمن بالتدخل ووصل الاسطول الامريكى الى لبنان ، وتدفق الجنود منه أفواجا . ومع أن الاحداث قد اثبتت استعداد الولايات المتحدة لأن تمد يد العون لاصدقائها ، فقد جاءت نتائجها معاكسة لكل التوقعات ، فقد تسلم دفعة القيادة في لبنان بعد انتهاء الاحداث " فؤاد شهاب المؤيد لعبد الناصر ، وبدأ اللبنانيون يتطلعون الى مصر . مما أدى إلى جلاء الامريكيين ، وخروج لبنان من هذا المنعطف الخطر .

وسارت الاحوال في لبنان نحو الاستقرار الذى تشوبه بعض التقلبات أحيانا ، ثم تبدلت احواله بعد الهزيمة العربية في عام ١٩٦٧ وقيام الفدائيين الفلسطينيين بأعمالهم ضد اسرائيل من الأراضى اللبنانية ، وقيام اسرائيل بغاراتها على مطار بيروت في ٣١ ديسمبر ١٩٦٨ وباعمال انتقامية على مناطق الحدود ، مما أدى إلى تزايد الانقسام بين اللبنانيين ، واحتكاك الجيش اللبنانى بالفدائيين ، وعلى الرغم من أن التواجد الفلسطينى على أرض لبنان كان طبيعيا وشرعيا خصوصا وأن مجلس النواب اللبنانى كان قد وافق عليه بأغلبية ساحقة ، فقد حدثت العديد من الخلافات حول الوضع القانونى للفلسطينيين ، وانتهى الأمر بعقد اتفاق القاهرة بين الحكومة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية فى ابريل من عام ١٩٦٩م والذى تحدد فيه الوضع القانونى للمنظمات الفلسطينية في لبنان ، وحقوق وواجبات السلطة اللبنانية تجاهها وفيما يلى أهم ما تضمنته تلك الاتفاقية .

١- تسهيل العمل الفدائى الفلسطينى وتنظيم الدخول والخروج والتجول للفدائيين ، ويجاد انضباط وتنسيق ، وتعاون مشترك بين الثورة الفلسطينية والجيش اللبنانى ، وقيام قيادة الكفاح المسلح بضبط تصرفات أفرادها وعدم تدخلهم في شئون لبنان ، كما تمارس السلطات اللبنانية مدنية وعسكرية صلاحيتها في جميع المناطق اللبنانية في كل الظروف .

٢- بالنسبة للوجود الفلسطينى : حق العمل والاقامة والتنقل للفلسطينيين في لبنان ، ووجود نقاط للكفاح الفلسطينى المسلح داخل المخيمات تكون مهمتها تنظيم وجود الأسلحة وتحديدها ، والسماح للفلسطينيين الموجودين في لبنان بالمشاركة في الثورة الفلسطينية .

تلك هى اتفاقية القاهرة التى تعتبر نقطة انعطاف هامة في تاريخ العلاقات اللبنانية الفلسطينية ، ومع ذلك فإن الموارنة لم يكن في تفكيرهم ومخاوفهم وأحاديثهم غير الفلسطينيين ووجودهم المسلح في لبنان ، والخطر اليسارى المنتشر في القواعد الفلسطينية ، وهم مصممون على عدم السماح للوجود الفلسطينى المسلح في مناطقهم .

(١) مايلز كوبلاند : لعبة الأمم - ترجمة فؤاد خير - بيروت ١٩٧٠ ص ٢٤٤ .

واستمرت الأمور في التفاف حتى قامت الحرب الأهلية في لبنان ١٩٧٥ ، وبدأت القوى اليسارية بقيادة كمال جنبلاط في تركيز مدافعها الثقيلة على القرى المسيحية في الجبل ، ونتيجة لذلك دخلت القوات السورية الأراضي اللبنانية في يونيو ١٩٧٦ بحجة أن الاتجاه اليساري المتطرف سوف يؤدي الى تقسيم لبنان وتوريث المقاومة العسكرية في المخطط التقسيمي الذي كان اليمينيون المسيحيون هم المتهمون بتنفيذه . ثم ازدادت الأمور استعاراً نتيجة لاجتياح اسرائيل للأراضي اللبنانية في الخامس من يونيو ١٩٨٢ تحت شعار السلام الجليل^(١) ، واعلائها أن جيش الدفاع الاسرائيلي سيقى في لبنان الى أن تنسحب القوات السورية منه ، وتتخذ التدابير التي تضمن الأمن لسكان الجليل والتي تشمل اخراج المقاتلين الفلسطينيين من لبنان

وخلال ذلك حاولت اسرائيل القضاء على قوات منظمة التحرير الفلسطينية وفرض الأمر الواقع على لبنان وعقد معاهدة سلام معه ، ولكن اغتيال بشير الجميل قد أحبط مخططاتها . كما ان تعاضم المقاومة اللبنانية والضغط الدولي قد اجبرها على الانسحاب من لبنان ما عدا اجزاء من الجنوب وفي هذه الأوقات العصية لم تتخل الأمة العربية عن لبنان يوماً واحداً فقد حاولت كلها مجتمعة أو منفردة أن تسهم في حل الأزمة وفي هذا الاطار أعلن مجلس التعاون الخليجي أن جهوده منصبه باتجاه هدف أساسي هو انسحاب اسرائيل من لبنان .

يضاف الى ذلك طرحت قضية أن لبنان يحتاج قبل كل شئ الى حوار بين اللبنانيين تذوب فيه جبال الجليل العالية ، ويتلاشى فيه هدير المدافع ، وتختفى معه خطوط التماس ، وأنه ينبغي أن يدفع هذا الحوار حول مائدة مفاوضات لا تظللها سوى راية لبنان الموحدة .

وعلى الرغم من اختلاف وجهات نظر الفرقاء حول قضية الرئاسة والمشروعية فان الرغبة لدى كل منهم في الحل كانت تتجلى من خلال اتفاقهم على أهمية الموقف العربي كسبيل لحل الأزمة اللبنانية ، كما يتفقون على أهمية عقد مؤتمر قمة عربي تطرح فيه القضية اللبنانية .

وقبل انتهاء ولاية الرئيس أمين الجميل في الثالث والعشرين من سبتمبر ١٩٨٨ أعلن عن تعيين العماد ميشيل عون رئيساً للحكومة العسكرية في لبنان ، كما لم يتمكن مجلس النواب اللبناني من الاجتماع لاختيار رئيس جديد للجمهورية يمكنه تحمل المسؤولية ، إضافة الى ذلك بدأت تواجه لبنان مشكلة جديدة وهي كون رئاسة مجلس النواب تنتهي في ١٥ اكتوبر من نفس العام ، وأنه في ظل الانقسام الحالي في الأوساط النيابية يصعب الاتفاق على إعادة انتخاب الرئيس الحسيني ، أو اكمال نصاب الجلسة النيابية لانتخاب رئيس جديد للمجلس ، وهذا بدوره ينطوي على فراغ في رئاسة البرلمان .

وهكذا فأول مرة منذ استقلال لبنان في عام ١٩٤٣م تعيش لبنان بلا رئيس للجمهورية ، وللمرة الأولى يعيش في ظل حكومتين تتنازعان السلطة والشرعية ، ولأول مرة يجتاح الشلل مجلس النواب فيعجز عن الاجتماع لانتخاب رئيسه .

ونتيجة لذلك تساقطت صمامات الأمان ، وظهرت محاذير الدخول في مرحلة السقوط ، ولعبة التقسيم خصوصاً بعد أن انكسرت الوحدة ، وأصبح الجيش اللبناني يعيش في ظل قيادتين تتنازعان السلطة

(١) هي المطقة الشمالية العليا من فلسطين المحتلة ، والتي كانت مستهدفة من الفدائيين الفلسطينيين في الحروب اللبنانية ..

والشرعية ، وأصبحت الليرة اللبنانية رمزا للاكفاء نحو العوز والفقر بعد أن كانت رمزا للبحبوحة والرخاء كما أصبح لبنان يسير نحو الجهول . ثم قيض الله الطريق نحو الخلاص من خلال مؤتمر القمة العربي الذي انعقد في الدار البيضاء في مارس ١٩٨٩م والذي انبثقت عنه " اللجنة العربية العليا " المؤلفة من الملك فهد بن عبد العزيز ، ونسك الحسن الثاني ، والرئيس الشاذلي بن جديد فبذلت اللجنة جهودا مضنية على مختلف الأصعدة العربية والاقيمية والدولية ، وطرحت أبعاد القضية في أفق عربي شامل ساعية وراء جميع القنوات التي لها علاقة بالحرب ، رافضة مبدأ الفشل حتى تسنى لها أن تضع عبر وزراء خارجيتها الثلاثة الأمير سعود الفيصل (السعودية) والسيد أحمد الغزالي (الجزائر) والسيد عبد العزيز الفلالي (المغرب) الذين كرسوا جهودهم للقضية اللبنانية حتى تسنى لهم بالتشاور مع الجهات المعنية وضع وثيقة الوفاق الوطني^(١)

وقد واصل النواب اللبنانيون ' الاثنان والستون " اجتماعاتهم في الطائف في محاولة للتوفيق بين وجهات نظرهم من أجل صياغة وثيقة مشتركة حول موضوع الاصلاحات الجديدة وإيجاد صياغة جديدة لتنظيم السياسي المعمول به في لبنان منذ عام ١٩٤٣م بهدف اعادة التوازن بين السلطات وتحديد العلاقات المستقبلية بين لبنان وسوريا ، وتنشيط المؤسسات الدستورية اللبنانية من جهة ، ووضع حد لمعاناة طويلة ومريرة ترهق الشعب اللبناني وتهدد مستقبله وانتهى الأمر بتوقيع اتفاق الطائف

وقد نص الاتفاق على اصلاحات دستورية ، وسياسية وتنظيمية تناولت شئون رئاسة الجمهورية ، وشئون رئاسة مجلس الوزراء ، والمجلس النيابي ، كما تناولت حل جميع الميلشيات وتسليم اسلحتها للدولة بحيث يجرى التصديق دستوريا على هذه الوثيقة في مجلس النواب اللبناني في مدة أقصاها الثلاثة ١٩٨٩ / ١٠ / ٧ حيث يجرى على اثر ذلك انتخاب رئيس الجمهورية ويعقب ذلك العمل على تأليف حكومة واحدة للبنان وهي حكومة الاتحاد الوطني التي ستعمل على اعادة بناء جميع المؤسسات الدستورية والحكومية المعطلة منذ اكثر من أربعة عشر شهرا .

وقد ساد العواصم العربية والعالمية موجة من الارتياح بعد انتخاب " رينيه معوض " رئيسا للجمهورية اللبنانية وبداية عهد جديد للبنان وعدت ذلك خطوة ايجابية نحو اعادة بناء لبنان موحدا وبداية للطريق الذي سيقود لبنان الى وضعه الطبيعي ليساهم في ممارسة سيادته على جميع أراضييه بعد أن سئم اللبنانيون أبناء العنف والقتال ولد يعترض على ذلك سوى " حكومة العسكريين " برئاسة العماد ميشيل عون التي رفضت اتفاق الطائف كما رفضت أي اتصال مباشر مع الرئيس المنتخب ، وعلى الرغم من ذلك فقد بدأ الرئيس معوض اتصالاته بتشكيل حكومة الوفاق معلنا " أن المصالحة تتسع للجميع ولا تستثنى أحدا ومطالبيا " بمواكبة مسيرة الشرعية المصممة على انتهاء الدويلات وبسط سيادة القانون " كما كلف الرئيس معوض الدكتور " سليم الحص " بتشكيل الحكومة الجديدة .

وفى يوم الأربعاء الموافق ٢٤ / ٤ / ١٤١٠هـ نقلت أجهزة البرق نيا اغتيال الرئيس رينيه معوض وبعد ثمان وأربعين ساعة اغتيال الرئيس رينيه معوض انتخب البرلمان في جلسة عاجلة عقدها في فندق " شتورا بارك " في سهل البقاع النائب اليااس الهرأوى رئيسا للجمهورية بعد أن حصل على سبع وأربعين صوتا .

(١) اخبار العالم الاسلامي : العدد ١٤٤ - ربيع الثاني ١٤١٠هـ / ١٣ نوفمبر ١٩٨٩م .

وقد دعا الهراوى الى انتهاج سياسة الانفتاح بين لبنان وسورية ونادى بمد يد الصداقة والصدق الى الجميع من أجل التعاون لانقاذ لبنان ، وكلف الدكتور سليم الحص بتشكيل حكومة وحدة وطنية وأكد أنه لا يسمح بوجود حكومتين في لبنان ، وطالب العماد عون باخلاء قصر الرئاسة في بعبدا .

وعلى الرغم من الاجماع العالمى على مساندة الشرعية اللبنانية المتمثلة في الرئيس المنتخب لياس الهراوى فقد أعترض العماد عون على ذلك الانتخاب ووصفه بأنه باطل ، وقام بتصعيد الموقف فقرر عدم اخلاء قصر بعبدا ، كما قام بتوسيع رقعة القوات الموالية له في بعض احياء بيروت الشرقية وذلك بنشر قوات جديدة في بعض هذه الأحياء ، في حين هدد الرئيس الهراوى باتخاذ خطوات عسكرية لدخول قصر بعبدا اذا فشلت السياسية في اخراج عون سلميا .

وانتهى الأمر بتمكن لبنان من اعادة هيئته والقضاء على تمرد ميشيل عون وبسط سلطة الدولة على كامل الأراضى اللبنانية بعد قيام التحالف الدولى ضد صدام حسين وانضمام سورية الى هذا التحالف .

وفى أعقاب ذلك نجحت القيادة اللبنانية في توجيه ضربة قاصمة للعماد عون عندما تحركت قواتها المدعومة بوحدات من الجيش السورى تجاه قصر الرئاسة في بعبدا في ١٣ من أكتوبر ١٩٩٠ ، وانتهى الأمر بالتجاء عون الى السفارة الفرنسية واستسلام قواته وظهور المحاولات الجادة لازالة آثار الحرب التى امتدت ١٥ عاما من على وجه لبنان وبداية مرحلة جديدة لاعادة السلام ووحدة لبنان وعودة بيروت كعاصمة موحدة للبنان .

وقد ككل هذه الجهود عقد المعاهدة السورية اللبنانية التى تنص على التنسيق بين سورية ولبنان في مجال شئون السياسة الخارجية والأمن الداخلى .

٤ - امارة شرق الاردن (المملكة الاردنية الهاشمية)

كانت منطقة شرق الاردن في العصر العثماني جزءا لا يتجزأ من بادية الشام ، وكانت تحكم عن طريق والى دمشق العثماني كصنجقية من الدرجة الثانية اطلق عليها صنجقية الكرك ، وكانت اجزاؤها الشرقية تمثل صحراء منبسطة تصل بين العراق وسوريا والحجاز .

ونظرا لأن الحكم العثماني للبلاد العربية عموما لم يهتم بإصلاح شئون البلاد وتأمين الأمن والاستقرار فيها فقد ظل هذا الإقليم بحكم توغله في الصحراء بعيدا عن الحضارة ومتأخرا في شؤونه الاقتصادية والعمرانية والمالية ، وكان سكانه يخضعون لنظام قبلى يتولاه شيوخ القبائل ورؤساء العشائر ممن يتوارثون السيطرة جيلا بعد جيل ضمن مناطق نفوذهم ، وكانت القواعد العرفية تنظم العلاقات بين البدو ، وكان لهم قضاة يعرفون بقضاة العشائر واستمر سكان هذا الإقليم يعتمدون على الزراعة في أمور معيشتهم ، ويعيشون حياة الكفاف وبحكم موقع هذه المنطقة الجغرافى كانت ممرا للقوافل بين سوريا والحجاز والعراق وفلسطين وغيرها من البلاد العربية ، وأهم ما شاهده هذا الإقليم من الأحداث في العصر العثماني إنشاء خط سكة حديد الحجاز من دمشق إلى المدينة المنورة مارا بعدد من القرى الأردنية . وبعد نشوب الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٤ ودخول الدولة العثمانية الحرب بجانب ألمانيا وحلفائها وما اعقب ذلك من قيام الثورة العربية الكبرى التى تزعمها الشريف حسين بن على ضد العثمانيين ، صارت

obeyikan.com

بموجبها حكومة شرقى الأردن مقيدة بالمراقبة البريطانية^(١) ومكبلة بالقواعد والمنشآت العسكرية.

ونتيجة لاستياء العناصر المستنيرة في الأردن من هذه المعاهدة تكونت أحزاب معارضة ، عقدت في عمان مؤتمرا في يوليو عام ١٩٢٨ ووضعت ميثاقا ، وقررت عدم الاعتراف بالمعاهدة وأعلنت عن ضرورة إجراء انتخابات على أساس برلماني وعن ضرورة جعل الأردن دولة مستقلة دستورية^(٢) وإلغاء الانتداب البريطانى واستمر الحال على ذلك حتى قيام الحرب العالمية الثانية وقد وقفت الأردن في هذه الحرب إلى جانب الحلفاء .

وفى مارس من عام ١٩٤٦ عدلت معاهدة ١٩٢٨ بمعاهدة تحالف مع بريطانيا ، فاعلن عن انتهاء الانتداب البريطانى على شرق الأردن والاعتراف باستقلال الاردن التام وتمتعه بشخصيته الدولية وبالأمر عبدالله عاهلا له على أن يلتزم بالتشاور مع إنجلترا في الشؤون الخارجية وان تلتزم بريطانيا بالدفاع عن الاردن ، ودفع مساعدات مالية له . وهكذا انتقل شرق الاردن نظريا من صفة بلاد تحت الانتداب إلى صفة دولة مستقلة . وفى ٢٥ إبريل ١٩٤٦ اتخذ الأمير عبد الله لقب الملك . وقد قوبلت هذه المعاهدة بالسخط الشديد من الأردنيين مما أخرج مركز الملك عبد الله وجعله يطالب بريطانيا تخفيف بعض بنود المعاهدة ونتيجة لذلك عقد في عمان في ١٥ مارس ١٩٤٨ معاهدة تحالف أخرى بين الدولتين تضمنت استمرار التعاون وإقامة العلاقات الطيبة بينهما وأن تلتزم بريطانيا بالدفاع عن الأردن ، وأن تنشأ هيئة استشارية بين البلدين لتنسيق شؤون الدفاع وللمقارنة بين هذه المعاهدة ومعاهدة ١٩٤٦ نجد أنهما لا يختلفان كثيرا من حيث جوهر السيطرة البريطانية على الاردن ، ونتيجة لتطورات الاحداث في فلسطين وقرار الحكومة البريطانية في فبراير ١٩٤٧ برفع القضية برمتها إلى هيئة الامم المتحدة والتطورات الجارية هناك والتي انتهت بإقرار مشروع التقسيم في نوفمبر ١٩٤٧ ، كانت كل من الأردن ومصر تخشى أن تسبق أحدهما الأخرى إلى ملأ الفراغ في القسم المخصص للعرب من أرض فلسطين^(٣) فالأردن يرى أنه اوثق الاقطار العربية ارتباطا بفلسطين فهي شرق النهر وفلسطين غربية ، ومصر كانت تعارض اطماع الملك عبد الله ويتنافس ملكها مع الهاشميين في اطماعهم ، وقبل دخول الجيوش العربية إلى فلسطين تم اسناد منصب القيادة العامة إلى الملك عبد الله على أن يتولى إدارة العمليات بالنيابة عنه أمير اللواء الركن نور الدين محمود^(٤) ، وقد دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ بهدف انقاذها من الضياع وبعد ان برز شبح الهزيمة باديا للعيان في حرب ١٩٤٨ وتجسدت النكبة بقيام اسرائيل وتشيتت الشعب الفلسطينى فان التمزق العربى والصراعات الخفية والظاهرة بين الزعامات العربية في تلك الفترة ، وزيادة عوامل الشك وعدم الثقة بينها كل تلك الأمور كانت ظللا لهذه النكبة . ونتيجة لذلك اختلفت وجهتا نظر مصر والأردن في احتواء الموقف أو الاتفاق على طريق لتطويق المأساة ، وانقاذ ماتبقى من ارض فلسطين فقد رأت الحكومة المصرية تكوين حكومة فلسطينية تمثل الشعب الفلسطينى وتتنطق باسمه وتشمل قطاع

(١) على الدجاني : محاضرات في اقتصاديات الاردن ، القاهرة ، معهد الدراسات العربية ، ١٩٥٤ ص ٥ .

(٢) Survey of International Affairs. 1928 pp. 326 - 377.

(٣) لتفاصيل انظر - George Kirk : The Middle East 1945 - 1950 p. 144-145.

(٤) أن تسليم القيادة العامة للملك عبد الله لم يكن في مصلحة العرب لأنه كان راضحا لمشيئة رئيس أركان جيشه حلوب باشا الانجليزى كما أن الجيش الاردنى في ذلك الوقت كان يدار بواسطة قادة من الانجليز .

غزة والضفة الغربية التي يقصد بها محافظة القدس ولواء السامرة والخليل على ان يكون مقرها غزة وتسمى حكومة عموم فلسطين .

وقد بدأ 'الجامعة العربية بما فيها ممثلو الأردن إلى الاعتراف بهذه الحكومة لتمثيل عرب فلسطين في محدد - من حيث إيجاد تشكيل سياسي يقف امام اسرائيل ، ولتكون رمزا لكفاح بقايا هذا الشعب ، ولاتخاذ ماتبقى من فلسطين من أطماع اليهود . واعلنت أمانة الجامعة أسماء الوزراء الفلسطينيين الذين سيتولون مصالح ماسمته بالادارة المدنية (١) .

ولما وصلت انباء إنشاء هذه الحكومة إلى الملك عبد الله استشاطا غضبا ، واستنكر ماحدث من مندوبيه الذين أوضحوا له أن هذه الحكومة ولدت ميتة ، لذلك كان لاياس من الظهور بمظهر الاجماع (٢) ، ولكن الملك عبد الله لم يتفق بذلك بل رأى في اعلان هذه الحكومة تحدياً ظاهراً له خصوصاً وأنها نشأت في قطاع غزة الواقع تحت تأثير الحكم المصري ، ونتيجة لذلك فقد رفض الاعتراف بامتداد سلطة هذه الحكومة من غزة إلى المناطق العربية الأخرى في فلسطين فعين حاكما من قبله على الضفة الغربية ، كما رفض الاعتراف بهذه الحكومة او التعامل معها بحجة أنها لن تكون اكثر من اعلان رمزي ليس له القدرة على صيانة الاجزاء العربية من فلسطين (٣) ومن هذا المنطلق ارسل الملك عبد الله إلى محمود فهمي النقراشي رئيس الوزراء المصري خطابا أوضح فيه رفض بلاده لحكومة عموم فلسطين فذكر " اننا نخشى على سلامة بلادنا ومركزها من أى دولة ضعيفة قد تكون في فلسطين تنتسب إلى العرب فتضعف عن البقاء أو يستحوذ عليها اليهود أو بمجرد تكيفها تعترف بها منظمة الأمم التي اعترفت باليهود فيكون التقسيم أمراً واقعاً " (٤) .

وقد حاولت اللجنة السياسية في الجامعة العربية تهدئة الملك وإثناعه بالاعتراف بحكومة عموم فلسطين ، ولكنه أصر على موقفه ، وأخذ جؤ التوتر والمشاورات يتسع مداه داخل أروقة الجامعة (٥) وند يكتف عبد الله بذلك بل شجع على عقد مؤتمر فلسطيني في عمان في أكتوبر ١٩٤٨ برئاسة الشيخ سليمان التاجي هاجم فيه المجتمعون حكومة غزة ، وطالبوا الملك عبد الله أن يشمل عرب فلسطين بحمايته ، واعلنوا عن رغبتهم في ضم ماتبقى من فلسطين إلى شرق الاردن ، كما فوضوه أن يتحدث باسمهم ، وأن

(١) شكلت حكومة غزة من أحمد حلمي عبد الباقي رئيسا ، وحمال الحسيني ورحاني الحسيني ، وعوني عبد الهادي ، وأكرم رعيتر والدكتور حسين الحاندي ، وعبي حسنة ، وميشيل بكاريوس ، ويوسف صهيون وأمير عقل أعضاء .
انظر محمد عزة درودرة حول الحركة العربية الحديثة جـ صيدا المطبعة العصرية ص ٩١ .

(٢) محمد نصر مها - مشكلة فلسطين أمام الرأي العام العالمي ١٩٤٥-١٩٦٧ . رسالة دكتوراة غير منشورة ص ٢١٨ . والحديث بالذكر أنه فيما كانت اسرائيل تثبت اقدامها في قلب فلسطين كان العرب يشامسون فيما بينهم على التوسع الاقليمي وملء الفراغ في القسمة الثنتى من ارض فلسطين .

لنتماثيل . انظر George Kirk : The Middle East 1945 - 1950 p. 144-145 .

(٣) ميب الماضي وسيمان موسى : تاريخ الاردن في القرن العشرين عمان - الطبعة الأولى ١٩٥٩ ص ٥٣٤ .

(٤) نفسه .

(٥) محمد عزة درودرة . حول الحركة العربية الحديثة جـ . ص ٨٩ .

يتفاوض عنهم^(١) ونتيجة لذلك فقد استمر الملك عبد الله في تحديه لحكومة غزة ، فطالب بحلها ، واعتبر ذلك مسألة رئيسية في سياسته حتى ولو أدت إلى خلافات مع الحكومات العربية^(٢) .

كما شجع الملك عبد الله على عقد اجتماع بمدينة أريحا في أول ديسمبر ١٩٤٨ برئاسة الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل حضره العديد من زعماء فلسطين ووجهائها وفيه أعلن عن وحدة الأراضي الفلسطينية والأردنية ، واعتبارها وحدة لا تتجزأ ، كما قرر المؤتمر مبايعة الملك عبد الله ملكا على فلسطين كلها ، ولما رفعت قرارات هذا المؤتمر إلى الملك تقبلها راضيا^(٣) كما اصدر مجلس الوزراء الأردني بلاغا اعرب فيه عن تقديره لرغبة الفلسطينيين الممثلين في مؤتمر أريحا يضاف إلى ذلك أن البرلمان الأردني وقف مؤيدا لقرارات هذا المؤتمر^(٤) .

ونتيجة لذلك تعرض الاردن لانتقادات عنيفة^(٥) ولحملات دعائية ضده خصوصا من مصر فقد هوجم الاردن وهوجم الملك عبد الله واتهم بالتفریط في فلسطين وعروبتها وازداد العداء بين حكومتى مصر والاردن ، فقد اعتبرت مصر أن ضم شرق الأردن للضفة الغربية خطة توسعية مخالفة للاتفاقات التي تمت بين الزعماء العرب قبل دخول الحرب ، كما أرسل الملك فاروق رسائل شفوية إلى ملوك الدول العربية ورؤسائها بشأن ما حدث في أريحا أوضح فيها أن قرارات هذا المؤتمر لا تعتبر تعبيرا صادقا عن رغبة الفلسطينيين خصوصا " وان الذين حضروه قلة إذا قيسوا بمجموع عرب فلسطين " ^(٦) كما وصف هذه القرارات بأنها ليست صحيحة لأن أهل فلسطين اصحاب القرار ليسوا في الوضع أو الظروف التي تسمح لهم بإبداء رأى صادر عن حرية اختيار " ^(٧) كما استنكر مبايعة الملك عبد الله ملكا على فلسطين موضحا أن مصر لم تضح بدماء ابنائها ليلقى بمستقبل فلسطين في أيدي المجتمعين في أريحا ، وقد تبع ذلك سيل من البيانات والبرقيات شديدة اللهجة من هيئات مصر وشخصياتها وصحافتها ضد مؤتمر أريحا ، وتسجع الاردن لعقده فوصف محمود فهمي النقراشي رئيس وزراء مصر ما حدث في أريحا وتصديق مجلس الأمة الأردني عليه بأنه مخالف للمنطق ، وأن الحكومة المصرية ستظل عند قرارها الخاص بالاعتراف بحكومة عموم فلسطين وأن المصريين سيبقون دائما إلى جانب هذه الحكومة ، وأن للشعب الفلسطيني أن يقرر مصيره بنفسه^(٨) .

وأصدر مجلس العلماء في الجامع الأزهر بيانا وجهه إلى ملوك المسلمين وشعوبهم تدذ فيه بما أقدم عليه الملك عبد الله وحذر من عواقب تفتت الوحدة العربية ، والتمهيد للقضاء على عرب

(١) ادلى الملك عبد الله بتصريح في عمان للمجتمعين انه لا يطمع في فلسطين ، ولا يريد ضم أى أجزاء منها إلى بلاده ولكنه يرحب كل الترحيب برعة المجتمعين في الانضمام إلى بلاده . المصرى : في ١٦/٧/١٩٥٠ .

(٢) حسى ريان - دور اماره شرق الأردن في السياسة العربية ح ٢ ص ٣٧٦

(٣) حمد عرة دردره : المرجع السابق ص ٩٢ .

(٤) الأهرام في ١٤ ديسمبر ١٩٤٨ .

(٥) أرسل الملك عبد العزيز والرئيس شكري القوتلى إلى ملك شرق الاردن يطالبان عدم تمديد قرارات أريحا .

(٦) الأهرام في ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ .

(٧) الأهرام في ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ تحت عنوان " مصر وقرارات اريحا " .

(٨) الأهرام في ١٤ ديسمبر ١٩٤٨ تحت عنوان حديث محمود فهمي النقراشي عن مؤتمر أريحا .

أما عن موقف الصحف المصرية فقد نددت الأهرام بما حدث في أريحا فذكرت " أنه ليس من الملائم أن تنفرد أية دولة عربية بعمل سياسي يتعلق بمصير فلسطين .. وطبيعي أن كل حل لهذه القضية يجب أن يكون ونيد إرادة أهل فلسطين على أن تكون هذه الإرادة صادرة عن حرية وفي ظروف عادية ، وفي مناسبات لا تثير أي شك من أية دولة من الدول العربية وأن مصر ستقف إلى جانب مبدأ فلسطين لأهلها (٢) .

وهاجمت جريدة المصري ما أقدمت عليه حكومة شرق الأردن ، واتهمتها بالخروج على الإجماع العربي وطالبتها بالتريث في الإقدام على هذه الخطوة ، والتعاون مع الحكومات العربية في استخلاص الأجزاء التي تجاوزت حدود التقسيم الذي فرضته هيئة الأمم وأتكره العرب (٣) .

هذا عن موقف مصر أما عن موقف الجامعة العربية وموقف حكومة عموم فلسطين فقد عقد عبد الرحمن عزام أمين عام الجامعة مؤتمراً صحفياً أعلن فيه ضرورة احترام قرارات الجامعة بشأن فلسطين ، وشكك في قانونية قرارات أريحا وندد بها موضحاً ضرورة استفتاء أهل فلسطين في تقرير مصيرهم (٤) ونددت حكومة عموم فلسطين بمؤتمر أريحا وبالذين شاركوا فيه واعلنت انه ليس لهم الحق في التحدث بلسان عرب فلسطين (٥) ، كما نددت بقرار مجلس الأمة الاردني بوحدة الضفتين واعتبرته مخالفا لقرارات الجامعة العربية (٦) .

وإلى جانب ذلك فقد دعا اللاجنون الفلسطينيون في القاهرة إلى اجتماع استنكروا فيه قرارات أريحا وطالبوا بحق سكان فلسطين في تقرير مصيرهم ، كما انتهالت برقيات اللاجئين الفلسطينيين على الأمانة العامة للجامعة العربية يسجلون فيها احتجاجهم على قرارات مؤتمر أريحا ، وموقف حكومة عمان المنافي لحقوقهم (٧) .

هذا عن الموقف المصري تجاه قرارات اريحا أما عن موقف الأردن من موقف مصر مصر تجاه عملية توحيد الضفتين ، فقد كانت الاردن تعتبر أن الضم مصدر قوة للفلسطينيين وحقوقهم وانه خير وسيلة لحفظ ذلك الجزء من فلسطين من أن يسقط في يد اليهود حيث لا قوة تحميه إذا أقدمت الأردن على سحب قواتها منه ، ونددت الأردن بالدعاية التي شنتها مصر ضدها ووصفتها بأنها مؤذية ومغرضة ومفرقة لكل العرب وتساءلت عما سيكون موقف مصر واصرارها فيما لو جرى استفتاء عام بين الفلسطينيين اينما

(١) The times , 12 December 1948.

(٢) الأهرام في ١٢ ديسمبر ١٩٤٨ ..

(٣) المصري في ١١ يونيو ١٩٥٠ مقال لـ محمد علي علوية تحت عنوان " سياسة الملك عبد الله نحو فلسطين " .

(٤) الأهرام في ١٤ ديسمبر ١٩٤٨ تحت عنوان " الجامعة صاحبة الرأي الأعلى " .

(٥) The Times , 11 December 1948.

(٦) الأهرام في ١٤ ديسمبر ١٩٤٨ .

(٧) حسن ريان : مرجع السابق جـ ٢ ص ٣٨٣ ، ٣٨٦ .

كانوا ، وكانت نتيجة هذا الاستفتاء على غير ماتشتهى مصر أو تتوقعه (١) كما نددت بحكومة غزة روصفتها بأنها اقيمت بقرار عشوائى من مجلس الجامعة وبتأييد من مصر ، وأوضحت ان عملية الضم لها الوقاع الاقليمى ، ورغبة أهالى فلسطين الصادرة عن مطالب حياتهم وأمنهم ، وأن الاردن يشعر بعمق الروابط بين الضفتين كما حمل الملك عبد الله على الجامعة العربية ووصفها بالخور والغباء وعدم الواقعية كما وصفها بأنها اسمٌ كبيرٌ ودعاية عريضةٌ طويلةٌ ومع ذلك فليس لها أى اتصال بالرغبات القومية ، ووضح ان ارتباط دول الجامعة بالدول الكبرى جعلها لاتتمكن من التصرف خارج الالتزامات المترتبة بها (٢) .

ونتيجة لاصرار الملك عبد الله على عدم الامتثال لقرارات الجامعة تزعمت مصر حركة معادية لسياسته بلغت ذروتها في السادس من مايو ١٩٥٠ عندما تقدمت مصر باقتراح إلى مجلس الجامعة يقضى بفصل الأردن من الجامعة على اعتبار أن ضمها للصفة الغربية يعتبر عملاً توسعياً (٣) كما رأت تمثيل حكومة فلسطين السورية برئاسة المفتى خصم الملك عبد الله في الجامعة العربية (٤) .

ونتيجة لذلك قررت الاردن الامتناع عن ارسال وفد يمثلها في دورة مجلس الجامعة ، وأصدرت بياناً رسمياً في ٢٨ مارس ١٩٥٠ أوضحت فيه موقفها من الجامعة ، واستنكرت موقف الصحافة المصرية المناهضة لها فذكرت ان اتخاذ أية قرارات تتعلق بالقسم الغربى في فلسطين ستعتبرها الحكومة الأردنية ضارة بمصالحها ، ووضحت أن سكان هذا القسم اعربوا اكثر من مرة عن رغبتهم الجماعية في ربط مصيرهم بمصير الاردن ، ومن هنا فان الشروع في مناقشة أمور تمت تسويتها سيرتب عليه ازدياد سوء التفاهم ، ويجاد موقف غير مرغوب فيه (٥) ، لاسيما بعد أن تقرر دعوة رئيس وزارة حكومة عموم فلسطين إلى حضور اجتماعات مجلس الجامعة وقد اختلف موقف دول الجامعة في مساندة رغبة مصر في إخراج الأردن من الجامعة فقد ساندتها في ذلك كل من سوريا ولبنان والسعودية في حين اجمعت كل من العراق واليمن عن تأييد الموقف المصرى ، فقد ايدت العراق وجهة نظر الأردن ولامت مصر على موقفها من الملك عبد الله ، وطلبتها بالاهتمام بشؤونها الخاصة ، وبتحرير نفسها من القوات البريطانية بدلا من تدخلها فيما لايعنيها ، واعتبرت أن قرار الحكومة الأردنية بضم شرق فلسطين إليها هو الحل العملى لاتخاذ ماتبقى من فلسطين حتى تتم تسوية المشكلة بصفة نهائية (٦) ورأت أن شرق الأردن لم يخطئ بضمه للجزء الشرقى من فلسطين لأنه من غير المعقول أن يترك هذا الجزء دون سلطة تنفيذية حقيقية كاملة ، ورأى أنه إذا كانت هناك أى طعون في صحة إرادة أهل هذا الجزء حول رغبتهم في الانضمام إلى شرق الأردن من عدمه فلتشكل لجنةٌ للتحقيق (٧) .

(١) حس ريان : المرجع السابق ج٢ ص ٣٥٩ . ص ٤٢١ .

(٢) مذكرات الملك عبد الله : عمان - الطبعة الثانية - منشورات مجلة الرند ص ٣٣٤ - ٣٣٥

(٣) المصرى في ١٥ مايو ١٩٥٠ .

(٤) George Kirk : The Middle East 1945- 1950. p.311.

(٥) حس ريان : المرجع السابق ج٢ ص ٤٥١

(٦) المصرى في ٢١ مايو ١٩٥٠ .

(٧) المصرى في ١٢ يونيو ١٩٥٠

كما رأيت اليمين ضرورة القيام بالوساطة بين وجهات النظر المتعارضة حتى لا تتأزم الأمور . ولما كان قاتون الجامعة يقضى بعدم فصل أحد الأعضاء إلا باجماع الأصوات فقد تعثر موقف خروج الأردن من الجامعة ، كما ظهرت نذر انسحاب مصر من انجاعة وحصر اهتمامها في شئونها الداخلية مالم يتم طرد الأردن من الج - وبعد مشاورات واتصالات ووساطات جرت بين حكومات الدول العربية اتفق على عدم فصل شرق الأردن من الجامعة ابقاءً على وحدة الصف على أن تؤخذ العهود والمواثيق على الملك عبد الله بأن ضمه شرق فلسطين إلى الأردن لن يؤثر ولن يمس التسوية النهائية لفلسطين وألا يعقد صلحاً منفرداً مع إسرائيل .

وكان ردُّ الأردن على ذلك أن ضمها للصفة الغربية يرضخ للتسوية النهائية للقضية ، كما أنه لم يدخل مطلقاً في مفاوضات مع إسرائيل اللهم إلا مجرد مباحثات عادية بخصوص شروط اتفاقية الهدنة (١) . ولما كان المجتمعون يقدرّون جيداً مركز الأردن الحرج والظروف المحيطة به فقد ساندوا موقفه واتفقت الأمانة وأغضت الساسة العرب أعينهم عما حدث ، وأقدم العديد من الحكومات العربية على إقامة علاقات دبلوماسية مع الأردن ومن هنا لم يجد الوفد الأردني حرجاً في حضور اجتماعات الجامعة العربية بجانب أحمد حلمي باشا ورجائي الحسيني اللذين كانا يمثلان فلسطين تمثيلاً رمزياً .

وبذلك تحقق للملك عبد الله ضم الضفة الغربية بالرغم من احتجاج العديد من الفلسطينيين والدول العربية ، وتقوضت حكومة عموم فلسطين التي أنشئت تحت كنف جامعة الدول العربية وبتشجيع من مصر وهكذا كانت المشكلة الفلسطينية سبباً في أحداث التوتر بين مصر والأردن ، وبالرغم من قسوة المحنة ومرارة المأساة فإن شعب فلسطين لم يسلم من الهزات بين الحكام في البلدين ومع أن الموقف كان يقتضى التكاتف والاحتماد بين الزعماء العرب لا التنافر والبغضاء والبحث عن مطامح خاصة فقد جذب كل من ملكي مصر والأردن إلى جانبه بضعة نفر من أهل فلسطين ممن كانوا تحت إمرته وسلطانه ولا يملكون شيئاً من حريتهم فيما يقولون أو يفعلون مما عمق الهوة ، وأدخل القضية الفلسطينية في عمار الصراعات بين الدول العربية بعضها البعض ، وأصبح عرب فلسطين هم ضحايا الكارثة بكل مراراتها والآمها

والسؤال الذي يطرح نفسه هو إذا كانت مصر قد عارضت في ضم الضفة الغربية إلى الأردن ، فهل كانت هناك بدائل أخرى ايجابية ؟ وماذا تكون الحال لو أن الملك عبد الله كان قد تخلى عن إدارة شرق فلسطين ؟ وهل كان من الأفضل أن تظل الضفة الغربية وحدة قائمة بذاتها تقام عليها دولة لامتلك مقومات القوة أمام الاسرائيليين المترصين لابتلاع كل فلسطين أم تتضمن إلى دولة مثل شرق الأردن .

لقد رأى البعض أن أفضل طريقة لمعالجة الوضع القائم في الضفة الغربية آنذاك هو الاتحاد مع الأردن (٢) لأن تخلى الملك عبد الله عنها سيؤدي إلى وقوعها فريسة في قبضة إسرائيل ، وأنه من الخير للقضية أن يقع هذا الجزء من فلسطين في يد عربية من أن يقع في يد يهودية خصوصاً وأن المتطرفين من اليهود اعضاء منظمة ارجون التي يتزعمها منحاحين بيجين كانوا يطالبون بضم القدس القديمة إلى إسرائيل (٣) .

(١) المصري في ٣ مايو ١٩٥٠ .

(٢) حسن ريان : المرجع السابق ص ٢٠

(٣) المصري : العدد ٤٤٦٨ في ٣ مايو ١٩٥٠ ص ٧ .

ورأى البعض الآخر أن الملك عبد الله خان العهد الذي أخذه العرب على أنفسهم بعدم ضم أي جزء من فلسطين إلى بلد أحدهم وتسليمها إلى أهلها ليحكموها كما يريدون كما رأوا أن ما حدث في أريحا لم يكن تعبيراً حقيقياً عن مشاعر الفلسطينيين . لأن الممثلين الذين حضروا عنهم هذا المؤتمر لم يمثلوا إلا قلة من عرب فلسطين وجهت إليهم الدعوة من الحكومة الأردنية ، كما أن رئيس المؤتمر كان معينا من قبلها (١) ، ولا توجد سلطة محايدة تشرف على استفتاء حر لعرب فلسطين بل كان هناك الحاكم الأردني في القسم العربي من فلسطين ، وأن فكرة ضم هذا الجزء من فلسطين إلى الأردن كانت تختمر في ذهن الملك عبد الله منذ أمد بعيد ، وأنه وجد فيما حدث في عام ١٩٤٨ فرصة سانحة لتحقيق اطماعه .

والواقع أن كلا من مؤتمر غزة ومؤتمر أريحا كان مؤتمرا فلسطينيا عقد من أجل بحث مصير ماتبقى من فلسطين من أجزاء وإذا كان مؤتمر غزة قد أوجد في فلسطين حكومة عربية مستقلة مؤيدة من الجمعية التأسيسية التي انعقدت في مدينة غزة ، فانه لم يكن يمثل الفلسطينيين جميعهم كما حدث في مؤتمر أريحا الذي بايع المؤتمرون فيه الملك عبد الله ملكا على ماتحت يده من فلسطين لذلك فان ماصار عليه أمر فلسطين بعد ١٩٤٨ ، ومالحق بشرف الأمة العربية من أهاته كان يقتضى التكاتف والاتحاد بين الزعماء العرب لتقليل الخسائر ، ومع أن ضم الملك عبد الله للصفة الغربية فقد أفقد الفلسطينيين حكومتهم الخاصة التي كان يمكن أن تكون لها هويتها المستقلة في المطالبة بحقوق الفلسطينيين ، والتفاوض باسمهم مع الهيئات الدولية وغيرها بدلا من أن تدخل القضية الفلسطينية في غمار الصراعات بين الدول العربية بعضها مع البعض ، فانه نظرا لضعف هذه الحكومة التي ولدت في غزة وهي تحتصر ، وشكلت كيانا هزيبا يصعب الاعتماد عليه ، ونظرا لعجز الحكومات العربية عن القيام بعمل فعال في فلسطين ، وبسبب أن الفلسطينيين كانوا لا يثكون مثل اليهود جهازا منظما يمكن أن يتولى شئون الإدارة بينهم ويكفل حمايتهم فان اتحاد الضفة الغربية مع الضفة الشرقية بصفة مؤقتة حتى يعيد العرب حساباتهم ، وتتم تسوية المشكلة كان الحل الأمثل لضمان عروبة الأجزاء الباقية من فلسطين ، خصوصا وان انجلترا كانت لاتستطيع أن تقف مكتوفة الأيدي اذا تعرض تواجد الأردن للخطر في ذلك الوقت .

وقبل أن نختم حديثنا يطرح سؤال آخر نفسه وهو : هل كان الملك عبد الله أكثر وعياً ومعرفة بقدرة اليهود العسكرية من غيره من زعماء العرب فحاول أن يجنب بلاده الهزيمة بدعوته إلى حل المشكلة سلميا وميله إلى قرارات التقسيم أم أن تطلعاته التوسعية على حساب فلسطين كان تحقيقها الهدف الأول له يرى البعض أن الحكومة الأردنية كانت تعرف القوة الحقيقية لليهود ، وتعرف أن العرب لا يملكون مثل ما يملكه اليهود من تنظيم وتخطيط ، ومن هنا حاولت مصارحة الزعماء العرب بهذه الحقيقة ، وعملت على الوصول إلى حل سلمى بالطرق السياسية كما رأت في التقسيم أمراً واقعاً يجب أن ينظر إليه في ضوء عجز الحكومات العربية عن القيام بعمل فعال في فلسطين وهذا ما أثبتته التجارب المريرة فيما بعد ، وإذا كانت الحكومة الأردنية قد اهتمت بالترويج لفكرة التقسيم ، فينبغى أن نذكر أن هذه الفكرة هي المطلب الذي تطالب به الدول العربية الآن ، ولاتستطيع الوصول إليه (٢) .

ويرى البعض الآخر أن حكومة شرق الأردن ائترفت مخالفاً خطيرة في شأن القضية . كما أن الملك عبد الله كان له دور في تنبيط الهمم بعد أن حل جيش التحرير العربي وجيش الجهاد المقدس

(١) حس ريان . المرجع السابق جـ ٢ ص ٣٠٣ .

(٢) ميب الماضي وسليمان موسى : تاريخ الأردن في القرن العشرين ص ٤٧١ .

الفلسطيني ووقف مناوئاً للهيئة العربية العليا (١) كما أنه رأى في امكانية قرار التقسيم بارقة أمل وفرصة نحو تحقيق تطעותه التوسعية التي طامحاً راودته والواقع ان قبول الحكومة الأردنية بالأمر الواقع وهو التقسيم يدب أن ينظر إليه على ضوء عجز الحكومات العربية عن القيام بعمل فعال لانقاذ فلسطين .

حقيقة لقد دخل العرب جميعاً لمعركة ، وهو يؤمنون أن الحق كله في جانيهم ، وأن حكاهم لم يعدوا أنفسهم الاعداد الكافي لدخول المعركة ، بل كانت معالجتهم للقضية غاية في الاهمال والهزال ، وكاتت اجتماعاتهم تعقد لمجرد الكلام والخطب انضمة الجوفاء إلا من التهديد والوعيد بالقاء اليهود في البحر ، وشرب القهوة العربية على شاطئ تل بيب بعد النصر المبين ، كما أن بعض الحكام العرب إستغل القضية في تقوية مركزه او تدعيماً لمنصبه يضاف إلى ذلك اختلاف سياسات بعض الدول العربية أثناء المعركة ، فلم يقاتلوا صفاً واحداً بل لعبت الأهواء السياسية والشخصية بهم فأضاعوا القضية (٢) يضاف إلى ذلك انه من سوء حظ الفلسطينيين أن المهرجين والغوغاء والمتطرفين لعبوا دوراً كبيراً في عدم النظر إلى الأمور بما يستحقه من أهمية وتعقل بل بلغ الأمر بهم أن أخذوا يلصقون تهمة الخيانة بكل من يحاول وقف التزيف ، وهذا ليس بعجيب في أمة أختلطت عليها المفاهيم (٣) وعلى أي حال فبعد ماحدثت لفلسطين توالى في شرق الأردن أعمال العنف التي انتهت باغتيال الملك عبد الله في ٢٠ يوليو ١٩٥١ في مدخل المسجد الأقصى بالقدس بدافع النمة من تصرفاته . يضاف إلى ذلك أن عبد الله التل رحل إلى القاهرة وانضم إلى المناوئين للحكم الهاشمي في الاردن و صبح بالتالي اللسان المعادى لهم ، وحاول تغيير الاوضاع في الأردن عن طريق الاتصال ببعض الضباط العرب وتحريضهم عن التخلص من القيادة الانجليزية (٤) ولكنه لم يفلح وفي اعقاب مقتل الملك عبد الله خلفه ابنه طلال الذي لم يستمر في الحكم سوى ثلاثة عشر شهراً بسبب اضطراب أعصابه واصابته بلوثة عقلية فاجتمع البرلمان الأردني في ١١ اغسطس ١٩٥١ وقرر خلعه وتولية ابنه حسين ملكاً على الأردن تحت الوصاية إلى أن بلغ سن الرشد في عام ١٩٥٣ فباشر مهام الملك بنفسه ولما قرر الملك حسين الغاء المعاهدة الإنجليزية لتحرير مملكته نهائياً من سيطرة الانجليز كان هناك عقبة وهي تدبير نفقات الجيش التي كان الانجليز يدفعونها لذلك تعهدت حكومات مصر وسورية والسعودية بدفعها وعقدت مع الأردن ميثاقاً بذلك في عام ١٩٥٧ م . مقابل إنهاء المعاهدة ، وجرت اتصالات بين الحكومة الأردنية وإنجلترا انتهت إلى لغاء المعاهدة وجلاء القوات الانجليزية عن الأردن (٥) ولكن الموقف لم يستمر على هذا المنوال إذ نجحت إنجلترا والولايات المتحدة في تغيير موقف الملك حسين بحجة تدخل مصر وسورية في شئون الأردن فنتخض الملك حسين ميثاق عام ١٩٥٧ م . واستعاض عن ذلك بمساعدات أمريكية إنجليزية . وفي خلال تلك الفترة قامت الوحدة بين مصر وسورية ولم يسع عاهلى العراق والأردن إلا مجاراة الموقف فكونوا اتحاداً بين مملكتيهما على أن الأمر لم يطل فقد اشتد الغليان في العراق على حكاهم وانفجرت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ م فألغت هذا الاتحاد ، وفي أثناء ذلك تعرض الأردن لتدخل

(١) الحصرى في ٧ يونيو ١٩٥٠ مقال الأستاذ د. عني علوية تحت عنوان سياسة الملك عبد الله في فلسطين .

(٢) مكتب الهيئة العربية العليا لمطير - حنان من قضية فلسطين صرح بها سماحة المفتي محمد امين الحسيني مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا القاهرة ص ١٧٠ - ١٧٢ .

(٣) منيب لماضى وسليمان موسى : لمرجع السابق ص ٤٧١ .

(٤) محمد نصر مها : مشكلة فلسطين أمام الأمم المتحدة العالمية ١٩٤٥ - ١٩٦٧ ص ٢٦٢ .

(٥) ذرورة : السابق ص ٦٨٩ .

انجليزى بحجة حماية استقلاله من التدخل العربى.وقد أدى نزول القوات الإنجليزية إلى الأردن لاستنكار عام فلم يسع الإنجليز إلا الاتسحاب فعادت السيادة العربية على الأردن مرة ثانية .
ومما سبق يتضح أن الأردن لم يكن دولة معروفة بهذا الاسم قبل عام ١٩٢٠ ، وانه منذ نشأته تعرض للعديد من الأخطار والمتاعب ، فالخطر يحدق به من جهات عديدة ، والمساعدة على عدم انهياره يؤدي بلا محالة إلى الحفاظ على جزء عزيز من اجزاء الوطن العربى الكبير .
والجدير بالذكر أنه في يونيو ١٩٦٧ احتلت اسرائيل الضفة الغربية لنهر الأردن ، وقامت ضمن خطة مرسومة بعمليات استيطان واسعة لأجزاء منها فنقلت إليها اعدادا من السكان اليهود ، وطبقا لاتفاقات اوسلو اتفق على نقل السلطة في الضفة وقطاع غزة من الحكومة العسكرية الاسرائيلية والادارة المدنية الاسرائيلية إلى الفلسطينيين .

الكويت

ان دولة الكويت^(١) جزء من الوطن العربي الكبير ، وركن من أركان الجزيرة العربية الشمالي الشرقي يدها من الشمال وشيء من الغرب الجمهورية العراقية ، أما من الجنوب والجنوب الغربي فتحدها المملكة العربية السعودية ، ومن الشرق الخليج العربي الذي يتفرع منه خليج الكويت .

وتبلغ مساحة الكويت حوالي ٢٠،٤٠٠ من الكيلو متر المربع^(٢)

وينحدر سكان الكويت من اصل عربي حيث هاجر اليها الآلاف من جزيرة العرب^(٣) منذ فترة طويلة ، واستقروا بها ومنذ أن أُنشئت الكويت في حوالي ١١٣٠هـ / ١٧١١م تقريبا ، والحكم فيها محصور في آل الصباح^(٤) الذين رضى بهم شعب الكويت ، وقيل بحكمهم .

وعلاقة الشعب الكويتي بجيرانه علاقة أخوية متينة ، وثقها رابطة الجوار ، وأواصر القرى والمصاهرة . وبقيت الكويت تحت حكم آل الصباح مكانا آمينا يلجأ اليه كل من دارت عليه الدوائر ومن ذوى النفوذ ، وظلت ملجأ للأحرار الذين يهربون من جور العثمانيين وبطشهم كما ابتعدت عن مشكلات العراق وقبائله ، وبقيت محتفظة باستقلالها بعيدة عن أى تدخل مباشر أو غير مباشر من جيرانها ثم أكد استقلال الكويت عن الدولة العثمانية ما يحدثنا عنه التاريخ من مفاوضات جرت في لندن بين الدولة العثمانية وبريطانيا في هذا الشأن ، وقد مثل الدولة العثمانية حقى باشا على حين مثل بريطانيا السير "إدوار جراى" وانتهت المفاوضات بينهما باتفاقية في ٢٩ من يوليو ١٩١٣م اعترفت فيها الدولة العثمانية باستقلال الكويت الإدارى وممارسة شيخها لاستقلاله الذاتى^(٥) ووعدت بالكف عن أية محاولات للتدخل في شئونها أو الضغط عليها وعندما قامت الحرب العالمية الأولى في عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م أعلن الانجليز حمايتهم رسميا على الكويت بالاتفاق مع الشيخ مبارك ، واستمرت الاحوال على هذا المنوال حتى أعلن استقلال الكويت رسميا ١٩ من يونيو ١٩٦١م^(٦) في عهد الأمير عبد الله السالم الصباح الذى أعلن إلغاء

(١) الكويت تصغير الكوت بمعنى القلعة . للتفاصيل انظر . لوريمر : الكويت في دليل الخليج الجزء الاول - السفر التاريخي ، نكوبت ، شركة الربيعان للنشر ، الطبعة الاولى ١٩٨١ ص ٢٢

وكانت الكويت قبل اكثر من ثلثمائة عام صحراء لا ينتجعها سوى البدو الرحل انتجاعا للماء والكلأ ، وقد برزت أهمية الكويت في عهد عبد الله بن صباح كمشيخة لها أهميتها انظر . بدر الدين الخصوصي : دراسات في تاريخ الخليج العربي ص ١ ، الكويت ، منشورات ذات السلاسل الطبعة الأولى ١٩٧٨ ، ص ١٠٤ .

(٢) تذكر احدى المراجع ان مساحة الكويت نحو خمسة عشر الفا من الكيلو مترات المربعة .

انظر . راشد الفرحان : ماضى الكويت وحاضرها مختصر تاريخ الكويت وعلاقتها بالحكومة البريطانية والبلاد العربية ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

(٣) ينتمى معظم أهالى الكويت الى العشائر العربية البدوية في شمال وسط الجزيرة العربية ، وقيل ان أصلهم من قبيلة عنيزة ؛ جد .

للتفاصيل انظر . راشد الفرحان : المرجع السابق ص ٣٥ بينما يذكر خالد الزيد في تعليقه على كتاب لوريمر ص ٢١ ان الصواب هو عنزه القبيلة المعروفة ، وليست عنيزة في القصيم من اقاليم نجد .

(٤) الفرحان : المرجع السابق ص ٦١ بينما تحدد احدى الروايات هذه البداية بعام ١٧١٦ م انظر . لوريمر : المرجع السابق ص ٢٢

(٥) الفرحان : المرجع السابق ص ٢٣١

(٦) عن تفاصيل هذه الاتفاقية انظر أمين سعيد : الخليج العربي في تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ، بيروت ، دار الكاتب العربى ص ١٨٨-١٨٩ .

وقد سارعت دول العالم للاعتراف بهذا الاستقلال ولم يتخلف عن الركب سوى حكومة اللواء ' عبد الكريم القاسم ' في العراق في ذلك الوقت - التي ادعت أن الكويت قضاء عراقي سليب يجب أسترداده ، وانه قد يوافق على تعيين اميرها قائم مقام عليها بعد الدمج ، ونتيجة لذلك طلب أمير الكويت الشيخ عبد الله السالم الصباح تدخل القوات البريطانية لحماية بلاده وايقاف أية تصرفات عدوانية من قاسم العراق ونتيجة لجهود الرئيس جمال عبد الناصر تم احلال قوات عربية من السعودية ومصر والأردن والسودان أرسلتها دول الجامعة العربية لتحل محل القوات البريطانية التي خرجت من الكويت في العاشر من اكتوبر عام ١٩٦١م وكانت الحكومة المصرية أول من بارد إلى تأييد الكويت شقيقتها وجارتها ، فوضعت قواتها تحت تصرف القيادة الكويتية لصد كل طارئ ، وحذت الحكومات العربية الأخرى حذوها .

وبعدها اعترف عبد الكريم قاسم باستقلال الكويت مما أوقف كل الازعاجات ، وأصبحت الكويت عضوا في الأمم المتحدة ابتداء من ١٤ من مايو ١٩٦٣ (١٣٨٤هـ) وعضوا في جامعة الدول العربية ، كما ساهمت في جميع الأعمال الدولية العامة المشتركة بدبلوماسية واعية وهادئة ، كما ارتبطت بعد ذلك بعلاقات دبلوماسية مع العراق .

ويعد أن انهيار حكم " عبد الكريم قاسم " في فبراير ١٩٦٣ تحت ضربات الجيش العراقي ولقى قاسم العراق حتفه قامت في بغداد حكومة أكثر اعتدالا وإدراكا للواقع وميلا للتعاون مع جاراتها العربيات وبذلت الوساطات للتوفيق بين العراق والكويت وإصلاح ما أفسده عبد الكريم قاسم وكان من نتيجتها زيارة وفد كويتي لبغداد برئاسة الشيخ " صباح السالم الصباح " ولي العهد ورئيس الوزراء بدعوة رسمية من الحكومة العراقية ، وبترحيب من المشير عبد السلام عارف رئيس الجمهورية العراقية^(١) وبعدها بدأت العلاقات بين البلدين تسودها روح الوفاق والأخوة واستمرت الأمور على هذا المنوال حتى حدث الغزو العراقي للكويت في الثاني من اغسطس ١٩٩٠ - والذي يعد من اعظم المحن التي نزلت بالأمة العربية - ضاربا بذلك كل الجهود والوفاق مما قلب دفة الأمور وأدى إلى شق الصف العربي ووضع العديد من قضاياها الرئيسية في زاوية النسيان . هذا إلى جانب أنه فجر زلزالا رهيبا في النظام العربي ، وأوجد شرخا اضعف من قواه وهدد أمنه

وخلال فترة الاحتلال العراقي للكويت التي قاربت ستة أشهر رفض النظام العراقي كافة الجهود والمبادرات السلمية التي وجهت اليه ، واستمر في تحديه للإرادة الدولية كما فشلت العقوبات الاقتصادية في إجباره على الامتثال لقرار مجلس الأمن رقم ٦٦٠ وما تبعه من قرارات إذ استمر في تقوية وجوده العسكري داخل الكويت ونهب ثراوتها ، وتدمير مؤسساتها الثقافية والعلمية والتربوية .

وانتهى الأمر باصدار مجلس الأمن لقراراته بشأن انسحاب العراق الفوري وغير المشروط من الكويت ، ورفض العراق لهذه القرارات ، وقيام الحرب بين قوات التحالف وقوات صدام حسين في ١٧ يناير ١٩٩١ والتي انتهت بتحرير الكويت واعادة الشرعية والسيادة اليها وقبول العراق غير المشروط لجميع قرارات مجلس الأمن المتصلة بالآزمة ، بما فيها دفعه للتعويضات لما الحقه بالكويت من خسائر .

والجدير بالذكر أنه خلال حرب تحرير الكويت التي استغرقت ستة أسابيع قام النظام العراقي بالقبض على ألوف الكويتين بطريقة عشوائية ، وايداعهم في السجون العراقية كما أقدم على ضخ كميات

(١) أمير سعيد : المرجع السابق : ص ٢٠٦ .

كبيرة من البترول من ميناء الأحمدى في مياه الخليج مما أحدث تلوثا كبيرا في البيئة ، واتبع ذلك بتدمير آبار النفط الكويتية واتباع سياسة الأرض المحروقة .

وعلى الرغم من الآثار الفادحة التي لحقت بالكويت من جراء الغزو العراقي ، فقد تم تجاوز المحنة والمعاناة وعادت الكويت كما كانت واحة وارفقة الظلال تضمد جراحها بارادة وصمود ، وتعمل من اجل الخير والبناء وان بقيت معاناة أكثر من ٦٠٠ أسرة وعائلة كويتية تعاني من فراق الأب أو الزوج أو الأبن خاصة وان النظام العراقي لايزال يحتفظ بالعديد من الأسرى الكويتين في ظلمات سجونهم ومعقلاتهم (١) .

ومما سبق يتضح أن العدوان العراقي على الكويت كان انتهاكا للمبادئ والمواثيق الدولية وروابط حسن الجوار ، وان عواقبه كان تأثيرها شديدا ليست فقط على الكويت وانما على الأمة العربية بصفة عامة والشعب العراقي بصفة خاصة .

القضية الفلسطينية وواقعها المعاصر

لفلسطين في التاريخ القديم والوسيط والحديث ماض طويل وعلاقات مع الفراعنة والفرس والبابليين والآشوريين والمقدونيين والعرب واليهود والدولة العثمانية واوريا ونظراً لأنها قبلة للديان ، وتعد ارضا مقدسة للديانات الثلاثة فان التطلع للسيطرة عليها والتنازع على امتلاكها ظل قائما منذ فجر التاريخ وكفاح العرب في فلسطين كفاح اقتضته المروعة وحتمية المصلحة القومية .

والجدير بالذكر أن كافة الاسانيد التاريخية تؤكد أن فلسطين بلد عربي ، وأن ادعاء الصهاينة أن أرض فلسطين لهم من أقدم العصور ادعاء باطل . فلقد كانت فلسطين منذ عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد تعرف بارض كنعان نسبة إلى قبيلة " كنعان " العربية التي نزلت اليها من جزيرة العرب ، ومعنى ذلك أن العرب أقدم من اليهود في سكنى فلسطين إذ لم يأت اليهود اليها الا في عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد ثم تعرضوا فيها للإبادة والقتل على يد " بختنصر " البابلي بحيث لم يبق منهم في فلسطين سوى أعداد قليلة .

وقد استمرت الهجرات العربية الى فلسطين حتى جاءت الفتوحات الاسلامية فأصبحت فلسطين عربية اسلامية ، ودان أهلها للحكم الاسلامي (٢) ومعنى ذلك أن اطماع اليهود في فلسطين تقوم على ادعاء مزيف باطل مؤاده أن هذه البلاد بلادهم منذ أقدم العصور ، وأنهم خرجوا منها كرها .

وعلى كل حال فقد وزع اليهود في شتى أنحاء العالم ، وكانوا جزءا لا يتجزأ من المجتمع الذي يعيشون فيه ، ولم تشهد فلسطين قبل القرن التاسع عشر الميلادي هجرات يهودية للاستيطان الا في عام ١٤٣٢م عندما اضطر بعض يهود اسبانيا والبرتغال الى الهجرة لفلسطين فرارا من محاكم التفتيش ولم يزد عدد هؤلاء وعدد احفادهم عن ثلاثة الاف كانوا يعيشون على الهبات والتبرعات (٣) فيما عدا ذلك لم يكن يقصد فلسطين من اليهود سوى كبار السن الذين كانت تهفو نفوسهم الى زيارة هذه البلاد (٤) .

ولم تلبث أن نشأت الحركة الصهيونية (٥) في القرن الماضي في أعقاب الاضطهادات التي تعرض

(١) لتفاصيل لجهود التي تبذلها اللجنة الوطنية لشؤون الأسرى والمفقودين بالكويت انظر د. دلال الزين استعراض وابرار قضية اتسانية لواقع الأسرى والمفقودين الكويتين . دراسة تحت النشر .

(٢) أحمد عزت عبد الكريم : دراسات في تاريخ العرب ، بيروت ، دار النهضة العربية ١٩٧٠ ص٤٢٩ وما بعدها .

(٣) حول تفاصيل ذلك انظر روجيه جارودي : اسرائيل والصهيونية السياسية ص ٤١ .

(٤) محمود منسى : تصريح بلفور ، القاهرة ، دار الفكر العربي ص ١٩ .

(٥) تتسبب الصهيونية Zionism الى حيل صهيون الذي تقوم عليه مدينة القدس .

ولم تلبث أن نشأت الحركة الصهيونية^(٩) في القرن الماضي في أعقاب الاضطهادات التي تعرض لها اليهود في روسيا عقب مقتل القيصر نيقولا الثاني عام ١٨٨١ م واتهام اليهود بتدبير مقتله ، والاضطهادات التي تعرضوا لها في بولونيا ورومانيا وغيرهما بسبب عدم ولائهم للدول التي يعيشون فيها كمواطنين ويسبب سيطرتهم على مقدرات هذه الدول وارتكابهم العديد من الجرائم ضد شعوبها فتأسست الجمعيات في روسيا ورومانيا لانشاء مستعمرات في فلسطين يستوطنها اليهود المهاجرون اليها من شرق أوروبا مثل جمعية احياء صهيون التي تأسست في روسيا لتنظيم وتمويل عمليات الاستيطان في فلسطين ، وصار لهذه الجمعية العديد من الفروع في ألمانيا والنمسا وأنجلترا وغيرها .

والحركة الصهيونية حركة سياسية ترمى الى جمع شتات اليهود ، وتوطينهم في فلسطين بحجة أنها أرض الميعاد .

ولفظة صهيونية مشتقة من صهيون ، وهو أحد الجبال المحيطة بالقدس والمعروف أن هذه الحركة توسعية عدوانية ليس فقط بالنسبة لفلسطين بل ، للبلاد العربية المجاورة لها ويؤكد ذلك أن الوطن الصهيوني المزعوم في نظر المتطرفين من الصهاينة يمتد من نهر الفرات في العراق الى نهر النيل في مصر .

ومع ذلك فان الصهيونية لم تعرف كحركة سياسية الا في القرن التاسع عشر الميلادي خاصة بعد عقد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال Bale بسويسرا في عام ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م بدعوة من الصحفي النمساوي تيودور هرتزل Theodor Hertzl المنشئ الأول للصهيونية السياسية العالمية^(١٠) وصاحب كتاب الدولة اليهودية الذي صدر في فبراير ١٨٩٦ م والذي حاول فيه ان يقيم الدليل على ان اليهود يمثلون امة متميزة ، وان المشكلة اليهودية مشكلة قومية مضطهدة يجب ان تأخذ طريقها إلى الحل .

وقد سبق عقد هذا المؤتمر دعاية مكثفة له من أجل كسب التأييد العالمي لليهود وبحضور ٢٠٤ من اقطاب اليهود وقادتهم انعقد المؤتمر بغرض تدارس المشكلة اليهودية وموضوع انشاء وطن قومي لليهود .

ولقد كان من أهم نتائج هذا المؤتمر تأسيس المنظمة الصهيونية والعلم الصهيوني ، والنشيد القومي ، هذا إلى جانب العمل على بذل المساعي لدى حكومات الدول للعمل على تحقيق أهداف الصهيونية ومن أهمها تهجير اليهود المشتتين في اتحاء العالم الى فلسطين لانقاذهم من الاضطهاد الذي يتعرضون له في أوروبا وانشاء دولة لهم هناك .

وهكذا تبلورت الفكرة الصهيونية في هذا المؤتمر ، ودخلت في معترك السياسة الدولية لكسب تعاطف العالم نحوها^(١١) ثم توالت بعد ذلك عقد المؤتمرات الصهيونية من أجل تحقيق أهداف اليهود في فلسطين وأمانيهم باقامة وطن لهم في فلسطين وقد تركزت خطتهم على النحو التالي :

١- تشجيع استعمار فلسطين بواسطة المهاجرين اليهود خاصة من الزراع والعمال .

^(٩) تنسب الصهيونية Zionism الى جبل صهيون الذي تقوم عليه مدينة القدس .

^(١٠) محمد خليفة النورسي : بروتوكولات حكماء صهيون - ترجمة عباس محمود - بيروت ، دار الكتاب ١٤٠٤ هـ ص ٢٣ .

^(١١) من المفارقات ان اول مصرى قابله هيرتزل كان مصطفى كامل الذى سعى إلى لقاء هيرتزل لكي يقنعه بمنح تأييده للقضية المصرية . انظر . محمد حسنين هيكل : المفاوضات السرية بين العرب واسرائيل . الكتاب الاول ، القاهرة ، دار الشروق ١٩٩٦ ص ٧٢ .

٢- توجيه أُنظار يهود العالم نحو فلسطين .

٣- بذل المساعي اللازمة للحصول على التصريحات المؤيدة لهم من الدول الكبرى (١) .

وقد انتهز هرتزل فرصة ظروف الأزمة المالية التي كانت تمر بها الدولة العثمانية ، وفرصة تكاليف الدول الاستعمارية عليها ، وحروبها المريرة مع روسيا فعرض على السلطان عبد الحميد حل ازمته المالية في نظير السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين الا أن السلطان رفض طلبه ، وكرر هرتزل محاولته مرتين ، ولكن عبد الحميد حسم الموقف بقوله " انى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض ، فهى ليست ملك يمينى بل ملك شعبى ، لقد ناضل في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، واذا مزقت امبراطوريتى يوما فانهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن (٢) .

ونتيجة لأطماع اليهود بدأ السلطان عبد الحميد يهتم بالأوضاع في فلسطين فأدخل تعديلا للوضع الادارى لبيت المقدس ليصبح متصرفية تابعة للباب العالى مباشرة بعد ان كان سنجقية تابعة لباشا دمشق . وهكذا صمد عبد الحميد التالى أمام كل الاغراءات التي حاول بها اليهود زعزعة عن موقفه . ونتيجة لضغوط الدول الكبرى وافقت الدولة العثمانية على السماح لليهود بدخول فلسطين من أجل الزيارة فقط بشرط الا تطول مدة اقامتهم عن ثلاثين يوما ثم سمحت لهم بعد ذلك باطالة مدة اقامتهم إلى ثلاثة شهور ، ونظرا لمماطلة اليهود ، ومحاولتهم البقاء داخل فلسطين أكثر من المدة المقررة لهم ، عين السلطان عبد الحميد " محمد شريف رءوف باشا " المشهور بشدته متصرفا على القدس ، وأمره بتطبيق قانون الثلاثة الشهور بصرامة .

ولم تلبث الامور أن تطورت لصالح اليهود نتيجة لضعف الدولة العثمانية ، وانشغالها بالمؤامرات الخارجية والداخلية التي تسلطت عليها فضعفت الرقابة على اليهود في فلسطين واستغلوا ذلك في انشاء مستعمرات خاصة بهم ، وانشاء أول مدرسة عبرية للبنات في يافا وعلى كل حال فانه نتيجة لفشل هرتزل في اقناع الدولة العثمانية بالهجرة اليهودية الى فلسطين بدأ يتجه نحو بريطانيا ويعقد آماله عليها ، فنجح اليهود على السعى لاتخاذ بريطانيا مركزا رئيسيا لنشاطهم ، ومقرا للكثير من منشأتهم المهمة (٣) . ونتيجة لذلك تحولت بريطانيا الى مركز للزعامة الصهيونية وتولى " حاييم وايزمان " زعامة الحركة الصهيونية هناك وكون جماعة سياسية كان منها " هربرت صموئيل " وبدأ في الاتصال برجال الدولة البريطانية .

والسؤال المطروح هو لماذا كثف زعماء الحركة الصهيونية نشاطهم في بريطانيا بالذات الواقع أن الحركة الصهيونية العالمية ركزت نشاطها خصوصا قبيل الحرب العالمية الأولى تجاه بريطانيا من أجل اقامة دولة لليهود في فلسطين لأن زعماء هذه الحركة كانوا على بينة من تطلع الاستراتيجية البريطانية نحو فلسطين المتاخمة لقناة السويس وقد أكد ذلك الزعيم الصهيونى " حاييم وايزمان " بقوله " أنه اذا ما وقعت فلسطين في منطقة النفوذ البريطانى ، ثم شجعت بريطانيا استيطان اليهود في فلسطين وإقامة مجتمع يهودى يعتمد على بريطانيا ، وأمكن ادخال مليون يهودى هناك في فترة تمتد من عشرين الى ثلاثين عاما فان هؤلاء اليهود سيطورون هذا القطر ويكونون حرسا فعلا يجمى قناة

(١) قاسم حسن : العرب والمشكلة اليهودية ، بغداد ، المؤسسة التجارية ١٩٦٤ ص ٩٣ - ٩٤ .

(٢) عبد الحميد التانى : مذكراتى السياسية ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ١٤٠٢ هـ ص ٢٤ وما بعدها .

(٣) عمود حسن صالح : تصريح بلفور ، بيروت ، دار الفكر العربى د . ت ص ٢٧ - ٢٨ .

السويس . يضاف إلى ذلك أن اليهود وجدوا بين الوزراء الانجليز من يتحمس لقضيتهم أمثال جورج لويد رئيس الوزراء ، وآرثر بلفور وزير الخارجية وفيما يلي نعرض لتصريح بلفور وأسبابه .

مقدمات صدور تصريح بلفور :

لما أظلت الحرب العالمية الأولى برأسها ، وكشرت عن أنيابها في عام ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م انضمت تركيا الى جانب المانيا وحلفائها ضد انجلترا وفرنسا وحلفائهما مما أزعج بريطانيا وجعلها تحاول كسب ود العرب لضمهم اليها من أجل تحقيق أهدافها ، ونجحت في ذلك الى حد كبير . أما عن اليهود فقد اتخذوا موقفا وسطا بين المعسكرين المتنازعين ، فبعضهم أعلن تأييده للمعسكر الألماني التركي واتصلوا بالسلطان العثماني ، وعرضوا عليه القيام بتسديد ديون الدولة العثمانية وتجنيد جيش من يهود بولونيا للمحاربة بجانب الاتراك مقابل التنازل عن فلسطين يضاف الى ذلك قيام هؤلاء بالاتصال بالامبراطور الالمانى " وليم الثاى " ووعودهم له بالمساعدة في نظير توسطه للحصول من السلطان العثماني على تصريح باقامة شركة يهودية تحت حماية المانيا في فلسطين ، ولكنهم لم يجدوا استجابة واضحة منه ^(١)

أما الجانب الثاى فقد اتجه نحو بريطانيا ، وحاول ان يؤكد لها بأن مواثقتها على انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين يساعد على ترسيخ النفوذ البريطانى في بلاد الشرق الاوسط والهند .

وعلى كل حال فبعد أن استطاع القائد الانجليزى " اللنبى " دخول فلسطين في عام ١٣٣٥هـ / ١٩١٧م وضعت بريطانيا السير " هربرت صمويل " أحد أقطاب الصهيونية والانجليزى الجنسية مندوبا لها في فلسطين ، وقد عمل هذا المندوب على تقريب وجهات النظر بين الانجليز واليهود بشأن فلسطين ، يضاف الى ذلك تمكن الزعيم الصهيونى " حاييم وايزمان " من الاتصال باللورد آرثر جيمس بلفور ، واثاره اهتمامه بشئون اليهود وضرورة توطينهم في أرض فلسطين ، ونتيجة لذلك طلب بلفور من زعماء الحركة الصهيونية تقديم مشروع يوضح مطالبهم في فلسطين .

اسباب صدور تصريح بلفور

تعددت الأقوال حول أسباب صدور هذا التصريح وان كانت في مجملها تدور حول ما يلي

١- محاولة بريطانيا كسب عطف يهود العالم وخاصة يهود أمريكا في حربها مع المانيا حتى يضغطوا على الحكومة الأمريكية لدخول الحرب بجانب الانجليز ، وحتى تضمن بريطانيا فتح أسواق المال العالمية لها أثناء الحرب ^(٢) .

٢- تطلع بريطانيا الى الحصول على اختراع عالم الكيمياء اليهودى " حاييم وايزمان " رئيس المنظمة الصهيونية في بريطانيا والخاص باخراج وسيلة قليلة التكاليف لانتاج مادة الاسيتون Aceton التى كانت تستعمل كمذيب للبارود ، والتى كانت بريطانيا في حاجة لها أثناء الحرب .

٣- تطلع بريطانيا الى مساندة العناصر الصهيونية في المانيا والنمسا لها لكى يقوم هؤلاء بدورهم المخرب من داخل هذه الدول المعادية لبريطانيا ، بالاضافة الى سحب أموالهم من بنوك هذه الدول حتى

(١) مسى : المرجع السابق ص ٢٥ .

(٢) فيشر : تاريخ أوروبا في العصر الحديث - ترجمة أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع - القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ص ٥٢٢ .

- ٤- خشية بريطانيا من أن يسبقها الالمان في كسب ود اليهود وأصدار وعد لهم بالاستيطان في فلسطين (٢)
 - ٥- رغبة بريطانيا جذب اليهود في صفها حتى يصبحوا اعوانا لها في منافسة فرنسا لها في بلاد الشام .
 - ٦- زرع دولة عربية في قلب الوطن العربي حتى تكون مصدر قلق واستنزاف دائم لأبناء الأمة العربية .
 - ٧- محاولة ابقاء روسيا في الحرب بعد قيام الحركة الشيوعية فيها - خصوصا - وأن اليهود كانوا يسيطرون على الصناعات الروسية ، ولهم دور قيادي في الأحداث هناك .
 - ٨- رغبة بريطانيا في حماية مركزها في مصر وتأمين طرق مواصلاتها هناك ، وذلك عن طريق مساندة اليهود لهم في فلسطين
- التصريح من الناحية القانونية :

وتصريح بلفور من الناحية القانونية لم يكن سوى رسالة صادرة من وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد روتشيلد Rothschild أحد أثرياء اليهود ، وبرز زعماء الانجليز من الصهاينة نصها :

عزيزي اللورد روتشيلد:

يسرني جدا أن أنقل لكم باسم حكومة جلالة الملك هذا التصريح المشوب بالعطف على الأمانى اليهودية الصهيونية الذى دفع إلى الحكومة ووافقت عليه .

ان حكومة صاحبة الجلالة تنظر بعين العطف إلى اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وسوف تبذل أقصى جهدها لتحقيق هذه الغاية ، هذا مع العلم أن حكومة جلالة الملك لن تفعل شيئا ينطوي على أى مساس بالحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية في فلسطين ، ولا بحقوقهم أو مركزهم السياسى الذى يتمتعون به في البلدان الاخرى (٣) .

وعند تحليلنا للتصريح يتضح انه يحتوى على شقين :

يتضمن الشق الأول عطف الحكومة البريطانية على فكرة تأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين وبذل جهودها من أجل تحقيق هذه الغاية . حقيقة ان التفسيرات تعددت حول مضمون التصريح على السنة الزعماء البريطانيين بالسلوب يرضى العرب أحيانا ويتحاشى سخط اليهود أحيانا أخرى فقال بعضهم ان هذا التصريح لايعنى البدء في انشاء وطن قومي لليهود مباشرة وانه لم يعد لليهود بشئ محدود ملموس وقال البعض الآخر أنه منح لليهود كل شئ (٤) .

وإلى جانب ذلك فان الكنيسة الانجليزية أعربت عن معارضتها لهذا التصريح ورأت بأن ايجاد مركز لليهود في فلسطين سيكون معاديا للمسيحية (٥) .

(١) عن تفاصيل أثر تصريح بلفور على اليهود الألمان انظر

Stein Leonard : The Balfour Declaration london 1961 pp 569 - 570

(٢) حسن صبرى الحلبي : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين ، المجلد الأول ، القاهرة ، دار المعارف ١٩٧٣ ص ٢٠٩ .

(٣) عن تفاصيل هذا الوعد وماسقه من مراسلات بين بلفور واليهود انظر : محمد عبد الرؤوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٨٩٧ - ١٩١٨ النسب الثاني ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٤ ص ٢٥ - ٣٤ .

(٤) عن تفاصيل هذه المناقشات انظر :

Hansard's parliamentary Debates : official Reports, Fifth Series Vol X p. 382.

(٥) محمود مسى : الشرق العربي اتاء الحرب العالمية الأولى ص ٢٦٦ .

أما عن الشق الثاني من التصريح فيتضمن مساندة بريطانيا للحقوق المدنية والدينية للطوائف غير اليهودية المقيمة في فلسطين وتجنب ذكر كلمة عرب وهذا يعنى وضع عرب فلسطين في عداد الأقليات على حين كانت نسبتهم في ذلك الوقت تزيد على ٩٠٪ في حين وصف الأقلية اليهودية التي كانت تعيش في فلسطين بأنها الشعب اليهودي . ومن هنا فالتصريح يتناقض في عباراته خصوصا وأن اليهود لم يكونوا سوى أفراد مشتتين في جميع أنحاء العالم على حين كان العرب هم أصحاب فلسطين يضاف الى ذلك أن هذا التصريح لم يكن له سند في القانون أو العرف العرفى وليس له في التاريخ ما يؤيده من سوابق خاصة وأن فلسطين كانت عند صدور هذا الوعد جزءا من ممتلكات الدولة العثمانية ولم يبت في وضعها بصفة دولية ومن هنا فان الحكومة البريطانية قد أعطت لليهود مالا تملكه ، وخولت لنفسها حق التصرف في بلد ليست لها عليه أية ولاية .

ومع ذلك فقد قضت السياسة المرحلية في تنفيذ تصريح بلفور في طريقها في غير هواده لاقامة الوطن القومى اليهودى في فلسطين كخطوة لانشاء الدولة اليهودية ، وتعاونت الحركة الصهيونية مع الحركة الاستعمارية وغدت بريطانيا أداة طيعة في يد الصهاينة .

موقف العرب من تصريح بلفور :

في الوقت الذى قوبل فيه تصريح بلفور من اليهود بفرح بالغ وحماسة شديدة ، فان العرب استاءوا عند سماعهم بهذا التصريح استياءا شديدا ، اذ رأوا فيه اعتداء على قطر عربى وسلبا لحقوق أهله ، وتسليمه لليهود ومن هنا سارعوا في الاتصال بالحكومة البريطانية تجاه عرب فلسطين .

وعلى الرغم من أن بريطانيا قد أكدت انها لن تسمح باسكان اليهود في فلسطين الا بالقدر الذى يتفق مع حقوق العرب وحريرتهم السياسية والاقتصادية ، فان العرب وقد تزايدت ريبتهم نحو نوايا بريطانيا في فلسطين خاصة وأن هذا التصريح تجاهل ما سيلحق بالعرب من جراء فتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وتسهيل انتقال أراضيهم لليهود ، يضاف الى ذلك أن هذا التصريح قد عمد الى تجاهل عرب فلسطين الذين كانوا يمثلون ٩٣٪ من اجمالى السكان فلم يذكر حتى بالاسم بل اشار اليهم بالجماعة غير اليهودية .

ونتيجة لذلك انعقدت العديد من المؤتمرات العربية التى أعلنت رفضها لتصريح بلفور ، وهجرة اليهود الى فلسطين وطالبت بالغاء الانتداب البريطانى على فلسطين ، وأعطاء أهل فلسطين حق تقرير المصير^(١)

موقف اليهود من تصريح بلفور :

عد معظم اليهود تصريح بلفور خطوة نحو تحقيق تنبؤات كتبهم المقدسة ونهاية لالامهم ، وان عودتهم الى فلسطين أصبحت مسألة واقعية وكان من نتائج ذلك ما يلى :

- ١- جمع هذا التصريح اليهود حول هدف واحد هو اقامة وطن قومى لهم في فلسطين .
- ٢- اتخاذ الصهاينة من التصريح سندا قانونيا لهم في معظمهم تحركاتهم ، وقد أسفر عن ذلك القبول الرسمى البريطانى بتشكيل لجنة صهيونية تجسد التشكيل المدنى الذى يعمل جنباً الى جنب مع الادارة

^(١) الجدير بالذكر أن الرعيم الصهيونى ويزمان تمسك من النزاع اتفاق خطير من الأمير فيصل بن الحسين ممثل المملكة الحجازية في ذلك الوقت تضمن اتخاذ جميع الاجراءات التى من شأنها تقديم الضمانات لتنفيذ تصريح بلفور وتشجيع الهجرة اليهودية .

فأرغما الدول العربية على عقد هدنة استغلها اليهود في تقوية أنفسهم استعدادا للجولة النهائية . ولما استأنف العرب القتال تمكن اليهود بمساعدة الضباط الإنجليز الذين كانوا يعملون في الجيش الأردني من كسر الجبهة العربية المصرية والاستيلاء على مواقع جديدة ، وعلى الرغم من عقد هدنة جديدة فقد كسرهما اليهود بحركات حربية ضد الجبهة المصرية تمكنوا خلالها من الاستيلاء على النقب . وفي أعقاب ذلك تمكنت الدول الكبرى في مجلس الأمن من إجبار مصر ثم الأردن ثم لبنان ثم سورية على عقد هدنة دائمة مع اليهود الذين استولوا على جميع ما خصص لهم بجانب قسم كبير مما خصص للعرب في قرار التقسيم^(١) وهكذا فرضت السيادة اليهودية على معظم الأراضي الفلسطينية فيما عدا أقسام متصرفية نابلس والقدس فضمت إلى الأردن ، كما عهد بقسم آخر وهو قطاع غزة إلى مصر .

ومنذ انعقاد هذه الهدنة ، والعرب واليهود في صراع شديد ، نجم عنه حروب ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ،

١٩٧٣ .

الانتفاضة الفلسطينية واشراقة الأمل :

نتيجة لاذلال الصهاينة لأبناء الشعب الفلسطيني ، واستعمالهم شتى أنواع القهر والبطش والارهاب واحساس الفلسطينيين بضياع وطنهم وقهر ارادتهم وامتهان كرامتهم وتجاهل المجتمع الدولي لقضيتهم العادلة كان لابد من التضحية بالنفس والنفيس ، وابرار حقيقة الوجود الصهيوني في فلسطين ، ومقدرة أبناء الشعب الفلسطيني على مواجهة الصلف الصهيوني المدجج بالسلاح .

ونتيجة لذلك حازت الانتفاضة على عطف الرأي العام العالمي وكشفت حقيقة الكيان الصهيوني القائم على الارهاب والجريمة وعدم التورع عن قتل الاطفال والنساء مما أبرز القضية الفلسطينية ، وشد انتباه الرأي العام العالمي ، وشكل رعبا وفزعا كبيرين للسلطات الاسرائيلية التي تبين لها استحالة اعادة الأمور في الأراضي المحتلة الى ما قبل الانتفاضة فحتى داخل المؤسسة الاسرائيلية أحدثت " ثورة الحجارة " هزة عنيفة ، وأربكت خطط المحافظة على الأمر الواقع التي يبدو أنها كانت الاستراتيجية الاسرائيلية المفضلة خاصة لدى تكتل الليكود . وتبدو قوة الهزة التي أحدثتها ثورة الحجارة واضحة داخل الكيان الصهيوني في الجدل الحاد الذي ثار داخل حكومة ائتلاف العمل / الليكود ، وفي المؤسسات الشعبية ، ولولا مسحة التمسك بالوحدة الوطنية التي يحاول الزعماء الاسرائيليون جاهدين الظهور بها أمام العالم لانكشفت خفايا مثيرة ونتيجة لانعكاسات الثورة الفلسطينية على تركيبة المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة قدم شامير ما أسماه " مبادرة جديدة " تتضمن منح الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة حكما ذاتيا كاملا لتولى ادارة شؤونهم من خلال أجهزة منتخبة على أن تبقى المسائل المتعلقة بالأمن والسياسة الخارجية في أيدي اسرائيل ، وأن يكون هذا الترتيب لفترة انتقالية مدتها ثلاث سنوات ، تبدأ بعدها مفاوضات لتحديد مستقبل هذه المناطق ، وما اذا كانت سترتبط بالأردن أو بإسرائيل .

وخلال الانتفاضة البطولية للشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة ، وردود الفعل التي أعقبتها فتحت منظمة التحرير الفلسطينية الطريق امام امكانية تحقيق السلام في منطقة الشرق الاوسط عندما تبنت في عام ١٩٨٨ وفي دوره المجلس الوطني التاسعة عشرة قرارى مجلس الامن ٢٤٢ و ٣٣٨ اللذين يعتبرهما العالم اساما لتسوية النزاع مما فتح الطريق أمام التسوية السلمية ، وادى الى اعتراف العديد من الدول بالدولة الفلسطينية المعلنة .

(١) دروره : مرجع سابق ص ١٩٥

وخلال ذلك راحت الجالية اليهودية الامريكية تتحرك باتجاه المنظمة لبدء الحوار معها مستعينة بحكومة السويد التي ابدت حماسا كبيرا لاستضافته مثل هذا الحوار^(١)

وفي اعقاب ذلك اعتنت المنظمة انها على استعداد للتفاوض مع اسرائيل من أجل الوصول إلى تسوية سلمية ، وانها تتعهد بالرش في سلام معها ضمن حدود امانة ومعترف بها دوليا ، وانها تدين الارهاب . ونتيجة لذلك بدأت الولايات المتحدة حوار جوهري مع ممثلى منظمة التحرير ، وكلف السفير الامريسي في تونس بهذه المهمة ، إلا أن هذا الحوار قد انقطع بعد أن استغلت امريكا قيام مجموعة عسكرية تابعة لأبي العباس بعملية على شاطئ تل ابيب في مايو ١٩٨٩ ، واعتبرت هذه العملية خرقا لشروط الحوار الفلسطيني الأمريكي .

وفي أعقاب حرب الخليج رأى الرئيس بوش العمل على تنفيذ القرارات المتعلقة بالشرق الأوسط وفي السادس من مارس ١٩٩١ اعلن الرئيس الامريكي جورج بوش عن مبادرته ذات النقاط الأربعة لحل مشكلة الشرق الأوسط وهى :

١- تطبيق القرارين ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

٢- مبدأ الأرض مقابل السلام .

٣- الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني .

٤- الأمن والسلام لدولة اسرائيل .

وقد رحبت القيادة الفلسطينية بهذه المبادرة وقبلتها حكومة اسحق سامير بتحفظات منها رفضها مشاركة اوربا في عملية السلام ، ورفضها أن تمنح الأمم المتحدة أى دور في هذه العملية ، ورفضها فكرة المؤتمر الدولى ، ومطالبتها بمؤتمر اقليمي .

وفي مدريد ١٩٩١ كانت بداية البداية ، حيث بدأت موجه التفاوض للوصول الى اتفاق حول الخطوط الرئيسية للحل ، وفي اعقاب ذلك بدأت المفاوضات الشاقة في واشنطن وخلالها تغيرت الأمور في اسرائيل حيث تولى حزب العمل بقيادة رابين السلطة ومع ذلك فقد ظلت المفاوضات متعثرة ، ومن هنا جاءت أوصلو كقناة خلفية للتفاوض بين الفلسطينيين والاسرائيليين ، وفي أوصلو استطاع المسؤولون الترويجيون أن يهينوا الأجواء المناسبة للمفاوضين حتى تم التوصل إلى الاتفاق ووضعت وثيقة لاعلان مبادئ على ضوء ما تم من مناقشات وفيما يلي نعرض لابرز موادها .

١- ان الهدف من المفاوضات هو التوصل الى اتفاق حول ترتيبات لاقامه سلطة حكم ذات انتقالية فلسطينية للمجلس الانتقالي الفلسطيني المنتخب لفترة مرحلية تؤدي إلى تسوية دائمة على أساس قرارى ٢٤٢ و ٣٣٨ .

٢- لكي يتمكن الشعب الفلسطيني في الضفة وقطاع غزه من حكم نفسه وفق مبادئ ديمقراطية تجرى انتخابات عامة تحت اشراف دولى .

٣- بعد التوقيع على اعلان المبادئ تبدأ فتره مرحلية مدتها خمس سنوات تجرى خلالها مفاوضات الوضع النهائي لتغضى جميع القضايا المتبقية بما فيها القدس ، اللاجنون ، المستوطنات ، الترتيبات الأمنية ، السيادة ، الحدود ، واية قضايا أخرى ذات الاهتمام المشترك .

(١) عمود عباس (أبو مازن) طريق أوصلو - موقع الاتفاق يروى الاسرار الحقيقية للمفاوضات ، بيروت - الطبعة الثانية ١٩٩٤

٤- بعد التوقيع على اعلان المبادئ يبدأ نقل السلطة من الحكومة العسكرية الاسرائيلية والادارة المدنية الاسرائيلية إلى الفلسطينيين .

وبعد أخذ ورد من الحكومة الاسرائيلية والقيادة الفلسطينية وافق الاسرائيليون على الانسحاب من

غزة ، وكان رأى ياسر عرفات ان القطاع لا يكفى ، ولا بد

ان ينسحبوا من مكان آخر في الضفة الغربية ، ومن هنا برز تعبير " غزة - أريحا " كمشروع متكامل مما فتح الباب على مصراعيه لبحث العلاقة بين المنظمة واسرائيل وكان نقله مميزة في بنود اعلان المبادئ واختبارا دقيقا لتوايا اسرائيل ومصداقيتها . وخلال ذلك طرح الوفد الاسرائيلي النقاط التالية :

١- الاعتراف بحق اسرائيل بالوجود بأمن وسلام .

٢- القبول بالقرارين ٢٤٢ ، ٣٣٨ .

٣- القبول بالتفاوض حول المرحلة الانتقالية والمرحلة النهائية والتفاوض هو الطريق الوحيد للوصول إلى تسوية سياسية .

٤- نبذ الارهاب .

٥- وقف كافة أعمال العنف والارهاب .

٦- الغاء مواد الميثاق التي تتناقض مع حق اسرائيل في الوجود أو تتعارض مع هذه البنود .

٧- استعداد ياسر عرفات بصفته رئيس منظمة التحرير لقاء أى مسئول اسرائيلي .

وبعد مناقشة الجانب الفلسطيني للنقاط الاسرائيلية وافق على بعضها وتحفظ على البعض الآخر

مثل الغاء مواد ميثاق المنظمة التي تنفي حق اسرائيل في الوجود بحجة ان ذلك من حق المجلس الوطني الفلسطيني ، كذلك فان الإشارة إلى وقف الانتفاضة والاحتلال لا يزال قائما يصعب تبريره ومن هنا جرى الاتفاق بأن عرفات يطالب في أحد خطاباته الجماهير الفلسطينية بالالتفاف إلى البناء والعمران والهدوء كتعبير عن المطالبة بوقف الانتفاضة

وفي ١٣ / ٩ / ١٩٩٣م تم التوقيع على اعلان المبادئ في واشنطن ، فوق عن الجانب الاسرائيلي

شمون بيريز وزير الخارجية ، ووقع محمود عباس ابو مازن عن الجانب الفلسطيني بحضور عرفات ورايين^(١) والجدير بالذكر ان اتفاق المبادئ لا يوجد في أى بند من بنوده اقامة دولة فلسطينية مستقلة بل اتفق على حكم ذاتي انتقالي يشمل الضفة الغربية وغزة ، وان المرحلة الانتقالية لا تتوقف على ما يسمى بخيار غزة اريحا واتما يشمل كل الضفة الغربية وقطاع غزة .

وقد نصت المادة السابعة من الاتفاق على اقامة عدد من السلطات الخاصة بالكهرباء والميناء

والبيئة والصادرات والأراضى والمياه ، وكلها سلطات فيها الكثير من سمات السيادة بالنسبة للشعب الفلسطيني وسارت الأمور إلى الحل بشكل طبيعي حتى تغيرت حكومة حزب العمل ، وحل محلها حكومة الليكود بزعامة " بنيامين نتيناهو " وتعثرت مسيرة السلام نتيجة لاصرار حكومة " نتيناهو " على بناء المستوطنات ورفضها لاتفاقيات السلام الموقعة مع السلطة الفلسطينية ، واعرابها عن رغبتها في عدم تنفيذ اتفاقيات اوسلو وعدم الانسحاب من الأراضى الفلسطينية المحتلة .

وتواصل مصر جهودها من أجل تقريب وجهات النظر بين الطرفين ، واقتناع اسرائيل باهمية

السلام القائم على العدل وحتى الآن تراوغ اسرائيل وتناور من أجل ابتلاع الحق الفلسطيني والسير على

(١) للتفاصيل انظر ابو مازن : طريق أوسلو .

الأشواك والتلويح بآلة الحرب وفي النهاية يمكن القول انه اذا كان الباعث الدينى يلقى التقدير لدى جميع المؤمنين فلماذا لا تكون فلسطين قبله للمؤمنين جميعا .

obeyikan.com